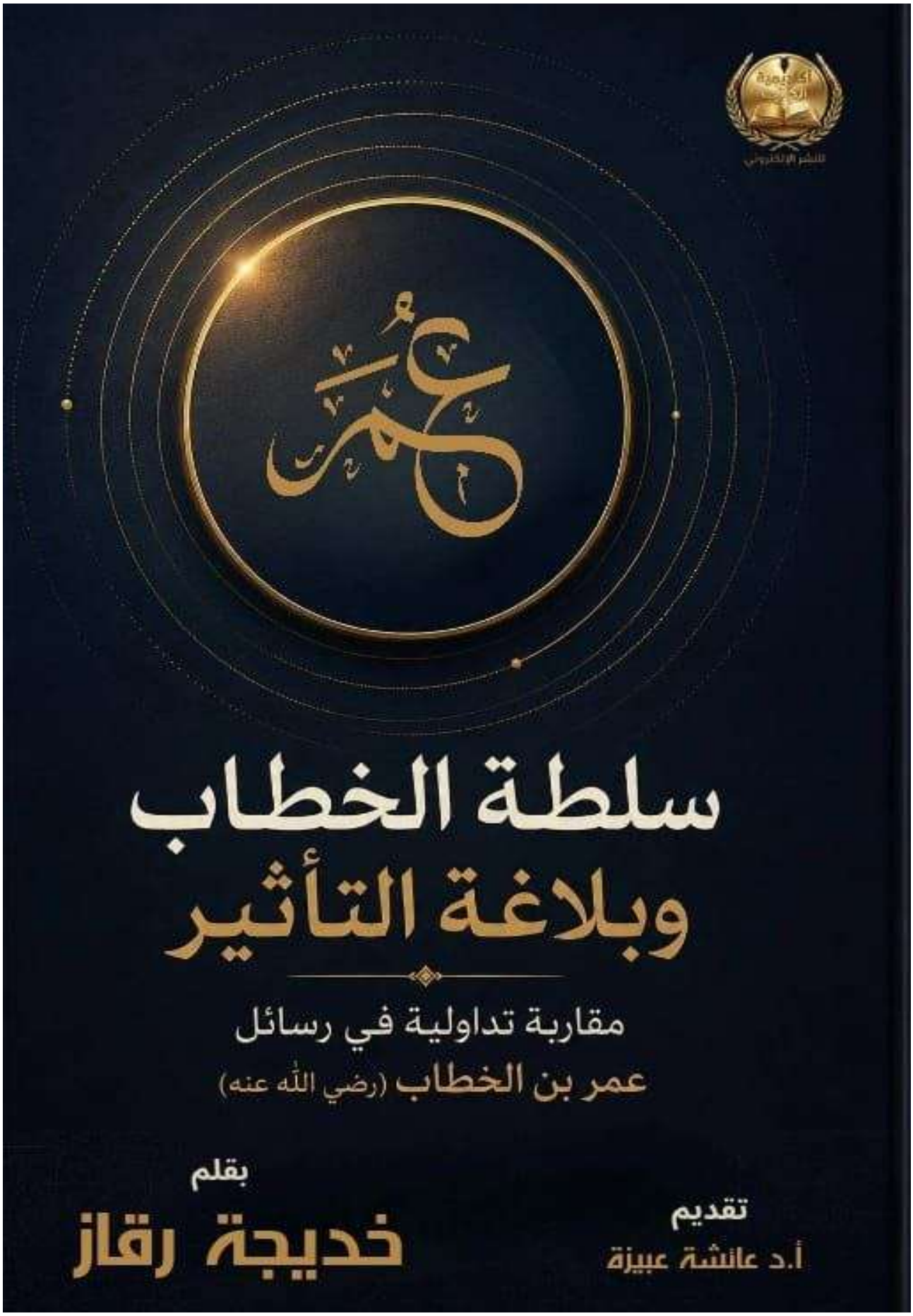
عمر
سلطة الخطاب
وبلاغة التأثير
مقاربة تداولية في رسائل
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
بقلم
خديجة رقاز
تقديم
أ.د عائشة عبيزة

# سلطة الخطاب وبلاغة التأثير

**(مقاربة تداولية في رسائل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)**


## تأليف

## خديجة رقاز

**عنوان الكتاب: سلطة الخطاب وبلاغة التأثير**

**تأليف: خديجة رقاز**

**تصميم الغلاف: عائشة عمارة**

**رقم الإيداع بالدار : 2026/0651**

**الترقيم الالكتروني EBIN : 60-57-1-260602**

**الناشر:**

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01112357473

مصر

# سلطة الخطاب وبلاغة التأثير

**(مقاربة تداولية في رسائل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)**

## تأليف

## خديجة رقاز

**٢٠٢٦**

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

# تقديم أ.د عائشة عبيزة

**تمهيد:**

تتأسّس المقاربة التداولية على رؤيةٍ لسانية تجعل من الخطاب محورًا للفعل اللغوي ومجالًا لتجلّي المقاصد التواصلية. فاللغة – من منظورها – ليست بنيةً معزولة عن الاستعمال، بل ممارسة تفاعلية تتحقّق داخل سياقات مخصوصة يحدّدها المقام والمتكلّم والمخاطَب. ومن ثمّ، فإنّ دراسة النصوص لا تكتمل إلا باستحضار شروطها التداولية التي تمنحها دلالتها الإجرائية، وتكشف عن البنية العميقة للتواصل اللغوي في بعدها المقصدي.

وفي ضوء هذا التصوّر، تكتسب الرسائل الديوانية أهميّتها بوصفها خطاباتٍ مؤسّسية تتجلّى فيها سلطة المتكلّم وموقع المخاطَب ضمن نسقٍ تواصلي منضبط بضوابط المقام الرسمي. فهي لا تعبّر عن موقفٍ لغوي فحسب، بل تنطوي على أفعالٍ إنجازية تُمارس من خلال اللغة ذاتها، بما يعكس وعيًا تداوليًا متقدّمًا في إدارة القول وتوجيه الخطاب.

ولعلّ رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثّل أنموذجًا بليغًا لهذا النمط من التواصل الإداري والسياسي، إذ تتبدّى فيها خصائص البيان العربي في أعلى تجلّياته، ويتداخل فيها البعد الديني بالأخلاقي والسياسي، ضمن توازن دقيق بين المقصد والمقام.

يندرج هذا الفصل في إطار التأسيس النظري للتحليل التداولي للرسائل الديوانية، من خلال ضبط المفاهيم الإجرائية الأساسية، وتحديد العلاقة بين التداولية والخطاب، وبيان آليات القراءة التداولية التي ستوجّه التحليل التطبيقي في الفصل الموالي.

بعدَ هذا التحديد العام لإطار المقاربة التداوليّة وموقعها من الدرس اللّساني المعاصر يقتضي المسار التحليلي أن نقف عند أبرز مفاهيمها الإجرائيّة...

### ١_مفهوم التداولية: (Pragmatique):

تُعنى التداولية بدراسة اللغة في سياقها الاستعمالي، أي من خلال الظروف المحيطة بالخطاب من زمانٍ ومكانٍ ومقامٍ ومخاطَبين، وما يترتّب عنها من آثار على المعنى والمقصد. فهي علمٌ يبحث في العلاقات بين القول ومقتضى الحال، أي في كيفية توظيف اللغة لتحقيق غاياتٍ تواصلية ضمن مواقف محدّدة.

ومن هذا المنطلق، اختلف الباحثون في تحديد مفهومها باختلاف منطلقاتهم النظرية ومجالات اهتمامهم، فتعدّدت تعريفاتها بين اللغويين والفلاسفة. ويمكن تمييز هذه التعريفات من خلال بعدين أساسيين: البعد اللغوي والبعد الاصطلاحي.

**أ. التداولية في بعدها اللغوي:**

يرتبط لفظ «التداول» في اللغة بالفعل دالَ الشيءَ، أي نقله وتبادله بين الأيدي. جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: " التداول من دَوَلَ، الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدّل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدّل على ضُعْفٍ واسْترخَاءٍ. فأمّا الأوّلُ فقال أهل اللغة: انْدَالَ القومُ أي تحَوَّلُوا من مكانٍ إلى مكان، ومن هذا الباب تَدَاولَ القومُ الشيءَ بيْنَهُم: إذاَ صارَ من بعضهِم إلى بعض، فالدَّولةُ والدُّولةُ لُغتَان وَيقال بل الدُولة في المال والدَّولةُ في الحرب، وإنما سُمي بذلك من قياس الباب، لأنه أمرٌ يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا"[1]. أمّا ابن منظور فيعرّفها قائلاً: " وَتداولنا الأمر: أخذناه بالدول، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرة"[2].

من خلال التعريفين اللغويين للتداولية، نجد أنّها مأخوذة من الجذر "دَوَلَ" الذي يعني الانتقال من مكان إلى مكان آخر، وقد وَرَدَ هذا الجذر في عدّة مواضع من القرآن الكريم، نذكر قوله تعالى : " إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مسَّ القومَ قَرحٌ مِثْلُهُ، وتلك الأيّامُ نُدَاوِلُهَاَ بين النَّاس وليَعلمَ اللهُ الذين ءَامنوا ويتخذَ منكم شهداء والله لا يُحِبُّ الظالمين ١٤٠}. سورة آل عمران _ الآية ١٤٠ _

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، ١٩٧٩م مادة (د، و، ل )،ص٣١٤.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، مادة (د،و، ل )،ج٤، ص٤٤٤.

**ب. التداولية في بعدها الاصطلاحي:**

إذا كانت الدلالة اللغوية لمصطلح التداول تحيل إلى التناوب والتبادل، فإنّ التداولية اصطلاحًا تجاوزت هذا المعنى الحسي لتُصبح علمًا يُعنى ببحث اللغة في استعمالها الفعلي، ضمن شروطها المقامية والتواصلية. فهي لا تنظر إلى الجملة بوصفها بنية معزولة، بل بوصفها فعلًا لغويًا مقصودًا يصدر عن متكلمٍ في سياقٍ مخصوص لتحقيق غاية تواصلية محدّدة.

وقد تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح التداولية، ولعلّ أول أسباب ذلك " أنّ مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة، فَعُدّت ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها (....) "[1].

ومن الصعوبات التي صادفت هذا المصطلح هي مشكلة الترجمة والتي تتمثل في: الاستقرار على مصطلح قارّ يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي Pragmatique فقيل البراغماتية والبراغماتيك، البراجماتية والبراجماتيك وليس في هذه الاصطلاحات فرق يعدّها نقلا حرفياً للكلمة الأجنبية وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية وبين هذه التعبيرات فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة (...) لأنّ مصطلح التداولية الذي استخدمه المتوكل ومدحه الجيلالي دلاش بالخفة والسلاسة هو الذي صار مهيمناً على استعمالات الدارسين..."[2].

وإنَّ أبرز مفهوم لها هو تعريف تشارلز موريس Morris الذي يقول فيه: "إنّ التداولية جزء من السيميائيات التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات".

أمّا تعريف ماري دبير فرانسوا يكاناتي Francois Récanati فيذكر فيه: "أنّ التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية".

وبعد التعريفات الاصطلاحية يجب " أنّ نشير إلى أنّ هذا المصطلح (التداولية) قد ارتبط باتجاهين مختلفين:

١. **الأول:** يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة، فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية، من أجل الكشف عن الوظيفة الإنجازية للغة .

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية للدرس اللساني العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢، ص٦٣.

[2] المرجع نفسه، ص٦٥ و٦٦.

**٢. الثاني:** منطلقه فلسفي يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارها العلمية[١].

يتبيّن من مجمل التعريفات السابقة أنّ التداول، في بعده الاصطلاحي، لا يُختزل في كونه ممارسة لغوية فحسب، بل هو نسقٌ معرفيّ شامل يستوعب مختلف أبعاد الخطاب: اللسانية منها، والاجتماعية، والتداولية. فهو يعكس انتقال الدرس اللغوي من الانشغال بالبنية إلى الاهتمام بوظيفة اللغة في الاستعمال، حيث تتفاعل العناصر اللغوية مع المقاصد التواصلية وسياقاتها المتغيرة. ومن ثمّ، يغدو التداول إطارًا نظريًا يرصد حركة المعنى في واقعه الحيّ، ويكشف عن دينامية الخطاب بوصفه فعلاً تواصليًا يتأسس على العلاقة بين المتكلم والمخاطب ضمن شروط المقام ومقتضيات الحال.

وإذا كان التداول من المفاهيم التي تُعنى بالفعل اللغوي في سياقه، فإنّ الخطاب هو المظهر الأوضح لهذا الفعل، إذ يُجسّد اللغة في تفاعلها مع المتكلم والسامع ضمن نسق تواصلي متكامل. ومن ثَمّ، كان من الضروري الوقوف عند مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحًا لتبيّن حدوده ودلالاته.

## ٢ _ تعريف الخطاب: (Discours ):

يُعدّ مفهوم الخطاب من المصطلحات التي حظيت بعناية اللغويين والبلاغيين على السواء، لما يتّصل به من أبعاد دلالية وتداولية تجعل منه حجر الزاوية في كلّ تواصل لغوي. فهو الوعاء الذي تتجلّى فيه اللغة ممارسةً وتوجّهًا، وأداة الإنسان في الإفصاح عمّا يختلج في ذاته من معانٍ ومقاصد. ومن ثَمّ، كان من اللازم الوقوف على دلالته اللغوية لاستجلاء أصوله قبل الانتقال إلى معناه الاصطلاحي.

### أ– التعريف اللغوي:

أصل الخطاب في اللغة من مادة خَطَبَ، يقال خطب فلان إلى فلان وأخطبه أي أجابَهُ، ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: خطبَ خَاطَبَهُ، أحْسَنَ الخطابَ، وهو المواجَهةُ بالكلام، وكان بقوم الرجل في النادي في

[١] عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، العدد الأول، ماي ٢٠٠٨م، الجزائر، ص١٠ و١١.

الجاهلية، فيقول: خطبَ، واخْتَطَبَ القومُ فلاناً ، فَدَعَوْهُ إلى أنْ يخطب إليهم، ونقول لهُ: أنت الأخطبُ البيّن الخطبة، فتخيّل له أنه ذو البيان في خطبته[1].

وبذلك يتّضح أنّ الخطاب في دلالته اللغوية يشير إلى توجيه القول نحو الآخر على سبيل التفاعل والتبليغ.

**ب_ الخطاب اصطلاحا:**

اختلفت تعريفاته باختلاف المدارس اللّسانيّة، عرّفه مجموعة من الباحثين بأنّه: عمل جماعي تعتمد فيه العبارة، أي الكلمات والمعاني المستخدمة فيها على الموضع الذي ألقيت فيه هذه العبارة، وعلى الشيء الذي كانت موجهة له.

فالخطاب مجموعة من العلامات توصف بأنها عبارات ملفوظة [2].

نجد أن الخطاب قد ورد مصدرًا في عدّة مواضع من القرآن الكريم في قوله تعالى: {ربُّ السَّمَوَاتِ والَارْضِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}. سورة النبأ _ الآية ٣٧ _

وفصّل في تعريف الخطاب عبد الهادي بن ظافر الشهري قائلا : "وقد أغفل البعض تعريفه وقد يكون ذلك لبداهته عندهم وعند غيرهم حينذاك، في حين عرض البعض الآخر له، مثلما فعل الآمدي، فقد عَرَّفَ الخطاب تعريفاً بيّناً، بعد أن وعى بأن التعريف هو المنطلق بمعرفة الأحكام الشرعية إذ يرى أنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه " بيد أن يُخرج في هذا التعريف العلامات غير اللغوية إذْ لا يعتَدُّ باستعمالها في الخطاب [3].

[1] الزمخشري،أساس البلاغة، بيروت، مادة ( خ،ط،ب)، ص١٦٨.

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العرب، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢١.

[3] عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٥ و٣٦.

وبمّا أن الخطاب لا بّد له من متكلم ومخَاطَب ورسالة "فإنّ النظرية التخاطبية تذهب إلى أنّ النص الأدبي تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة هي المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتباً أو مؤلفاً أو سارداً أو شخصية، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصاً مخاطباً، كأن يكون قارئاً أو متلقياً أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة، وهناك العنصر الثالث الذي يتمثل في الخطاب التداولي أو الرسالة المرسلة...."[١] .

"ويرى محمد خطابي أنَّ الخطاب مرتبط بشكل نسقي مع الفعل التواصلي (...) فالمكوّن التداولي لن يحدد الشروط المناسبة بالنسبة للجمل فقط، بل سيحدد أيضاً شروط المناسبة بالنسبة لأنواع الخطاب"[٢]. والمقصود بالمناسبة، سواءً فيما يتعلق بالجمل أو بأنواع الخطاب، مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية التي تنجز فيها.

وفي كتابه "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" قدم قسماً مستقلاً للخطاب والدلالة من " ترابط وانسجام وبنية كلية " وأبحاث خاصة بالتداولية من " سياقات وأفعال كلامية و..." وقد قدمها على شكل خطاطة :[٣]

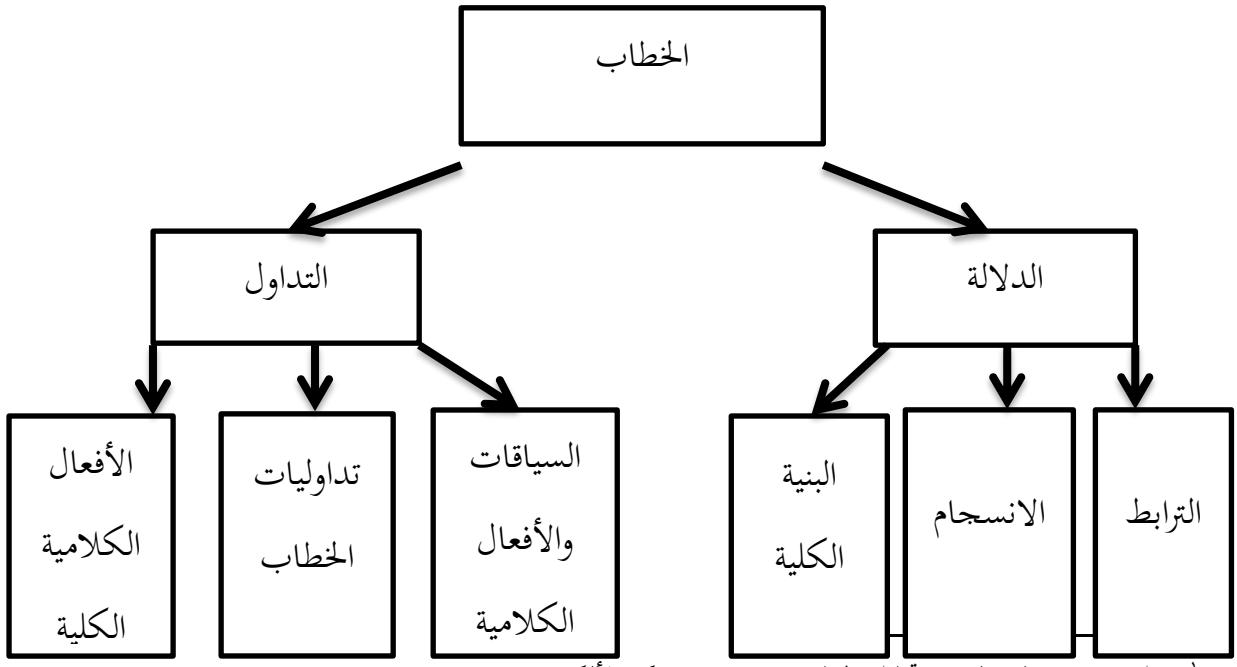


[١] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، إهداء من شركة الألوكة، ص١٤.

[٢] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط٢، ٢٠٠٦م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص٢٩.

[٣] المرجع نفسه، ص٢٧.

تُبرز خطاطة محمد خطّابي البنية الثنائية لمفهوم الخطاب، إذ تجمع بين البُعد الدلالي الذي يُعنى بالمعنى كما تُقدّمه اللغة في نظامها الداخلي، والبُعد التداولي الذي يركّز على المعنى في سياق الاستعمال والتفاعل. وبهذا التقسيم، يوضّح خطّابي أنّ الخطاب ليس مجرّد بنية لغوية، بل هو فعل تواصليّ تتكامل فيه الدلالة والتداول لتحقيق المقصد الخطابي بأبعاده الفكرية والاجتماعية.

**٣_تحليل الخطاب:**

بعد أن تطوّرت الدراسات اللغوية من التركيز على الجملة إلى دراسة اللغة في استعمالها، ظهر تحليل الخطاب بوصفه اتجاهاً يدرس النصوص في ضوء سياقاتها التواصلية والاجتماعية. فلم يعد الاهتمام مقتصرًا على البنية اللغوية، بل شمل مقاصد المتكلمين، وأدوار المخاطبين، والعلاقات التي تُنشئها اللغة في الواقع.

ويُعدُّ تحليل الخطاب: " نظرٌ في تركيب لساني منسجم، ذو علاقة وثيقة بالنظر في السياق التواصلي لهذا التركيب، مع التركيز على حمولته الدلالية والمضمونية، إضافة إلى تحليل نوعه وشكله، وكيفيات تفاعله مع التركيبة الاجتماعية والثقافية التي أحاطت به، وقد يقصد به في بعض الاتجاهات الأنجلوسكسونية تحليل التحاورات باعتبارها كما أشرنا سابقا أبرز أشكال التفاعل التواصلي"[١].

إذًا هو دراسة استعمال اللغة في سياقٍ معيَّن لفهم مقاصد المتكلمين، وكيف تُبنى المعاني من خلال التفاعل بين النصّ والسياق، قصد الكشف عن البنية التواصلية والمعرفية والاجتماعية للخطاب.

يُبرز هذا التعريف انتقال اللسانيات من تحليل البنية إلى تحليل الوظيفة، أي من (ماذا تقول اللغة؟) إلى (كيف ولماذا تقول ما تقول؟). ومن ثَمّ، فإن تحليل الخطاب يُعدّ جسرًا بين الدلالة والتداول، لأنه لا يكتفي بتفكيك النصّ لغويًا، بل يسعى إلى فهمه في ضوء النية والمقام والمخاطَب، وهي أبعاد لا تستقيم بغير المنظور التداولي.

[١] محمود طلحة، مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشعري عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤م ، ط١، ص٣٢.

3 المرجع نفسه ص ٢٣، ٢٤.

**٤_ تداولية استراتجيات الخطاب:**

ارتبطت التداولية بمفهوم الاستراتجية في الخطاب "لكونه عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة، وكذا اختيار السياق المناسب، فهو قبل التلفّظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه، فالمرسل يحرص كلّ الحرص على استعمال اللغة استعمالًا دقيقاً يتواءم والسّياق، وحتّى يتمكّن من القيام بهذه العمليات لابدّ وأن تكون لديه كفاية لغوية بالإضافة إلى الكفاية التداولية "[١] فالاستراتجيات الخطابية من أهم القضايا التي تُحدد التمييز والاختلاف بين الخطابات المتعددة، فلا يمكن للمتكلّم أن يُنتج خطابا وهو غافل عن السّياق.

١. النظر في وظيفة الكلام، مثل ما تنجزه اللغة عبر الأفعال الكلامية وهي النظرية الأثيرة في التداولية، ومن خلال تحليل الحمولة الإيديولوجية للغة أو الحجاج من وجه آخر في تحليل الخطاب. [٢]

يتبيّن من خلال ما سبق أن التداولية تمثّل الإطار المعرفي الذي تستند إليه استراتيجية تحليل الخطاب، إذ تزودها بالمفاهيم الكاشفة عن البُعد المقامي والتواصلي للنصوص. فبينما تهتم التداولية بدراسة العلاقة بين الملفوظ وسياق إنتاجه قصد تحديد مقاصد المتكلّم ودلالات الموقف، تُفعِّل استراتيجية تحليل الخطاب هذه المبادئ في قراءة النصوص قراءة شمولية تُراعي البنية اللغوية والوظيفة التواصلية في آنٍ واحد. ومن ثَمّ، يغدو تحليل الخطاب التطبيق العملي للفكر التداولي في الكشف عن آليات المعنى وبُنى التأثير داخل الخطاب.

**٥_ مباحث التحليل التداولي:**

بعد أن تبيّن موقع التداولية من الدرس اللساني وعلاقتها باستراتيجية تحليل الخطاب، يصبح من الضروري التوقّف عند مباحث التحليل التداولي التي تمثّل الجانب الإجرائي لهذا الاتجاه. فالتداولية لا تقتصر على التنظير لمفهوم السياق والمقام، بل تُقدّم مجموعة من الآليات التي تُمكّن الباحث من تفكيك الخطاب وكشف أبعاده المقصدية والتفاعلية. وتشمل هذه

[١] خضير باسم خيري، استراتجيات الخطاب عند الإمام علي عليه السّلام _ مقاربة تداولية_، دار الكتب والوثائق العراقية، العراق، ٢٠١٦م، ط ١، ص 26

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٢.

المباحث دراسة أفعال الكلام، ومبادئ التعاون والملاءمة، والافتراضات المسبقة، والاستلزام الحواري، وغيرها من المفاهيم التي تُسهم في بناء قراءة تداولية متكاملة للخطاب.

يصعب حصر الموضوعات التي يمكن إدراجها ضمن البحث التداولي: "فحصر موضوعاتها أمرٌ يكادُ يستعصي على من يريدُ رسم حدود لها، فهي أحياناً في تماس مع معارف أخرى، وفي اندماج أحيانا أخرى"[1]. فمثلا (د) خليفة بوجادي أدرجها تحت عنوان **من قضايا اللسانيات التداولية** و(د) مسعود صحراوي تحت عنوان **أبرز المفاهيم التداولية** وأحمد فهد صالح شاهين ذكرها تحت **عنوان أركان التداولية**، وواضح أحمد في أطروحته ذكرها بعنوان **أهم نظريات الدرس التداولي**[2] .أما قدور عمران فقد صنفها تحت عنوان **مباحث في التداولية**.

**أ _ عند مسعود صحراوي:**[3]

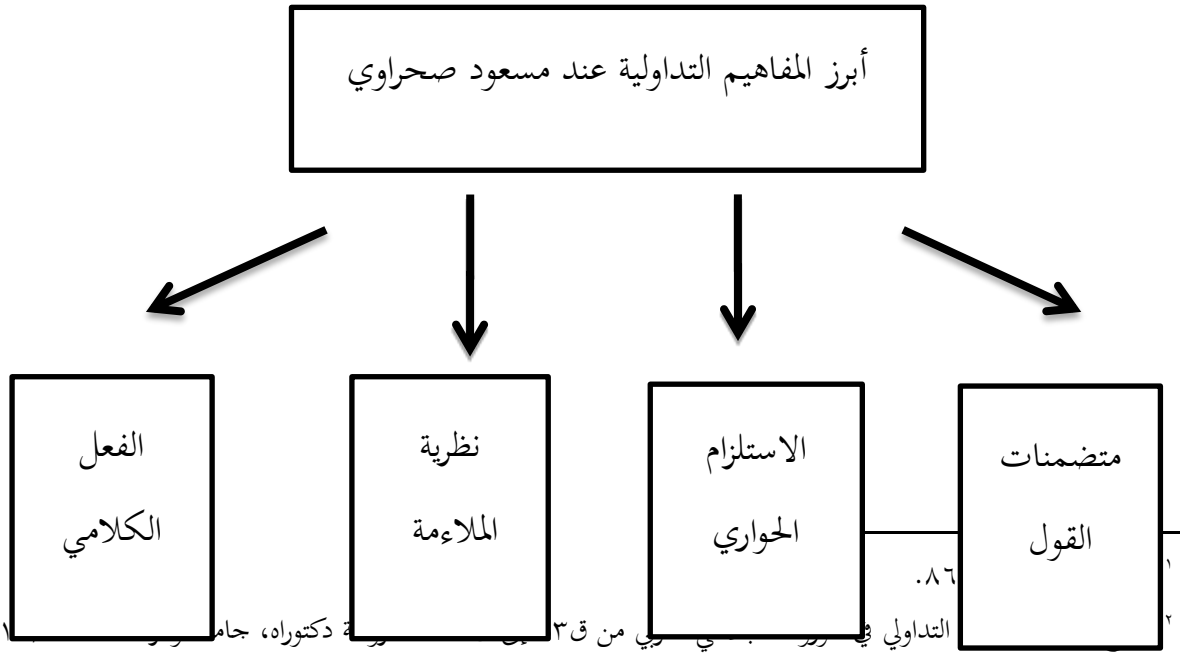


[1] .٨٦

[2] التداولي في ... من ق٣ ... دكتوراه، جامعة ... ٢٠١٠، ص من ١٠٧ إلى ١٤١.

[3] مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت؛لبنان،ط١، ٢٠٠٥، ص ٤١ إلى ٦٥.

**ب _ عند خليفة بوجادي:**[1]

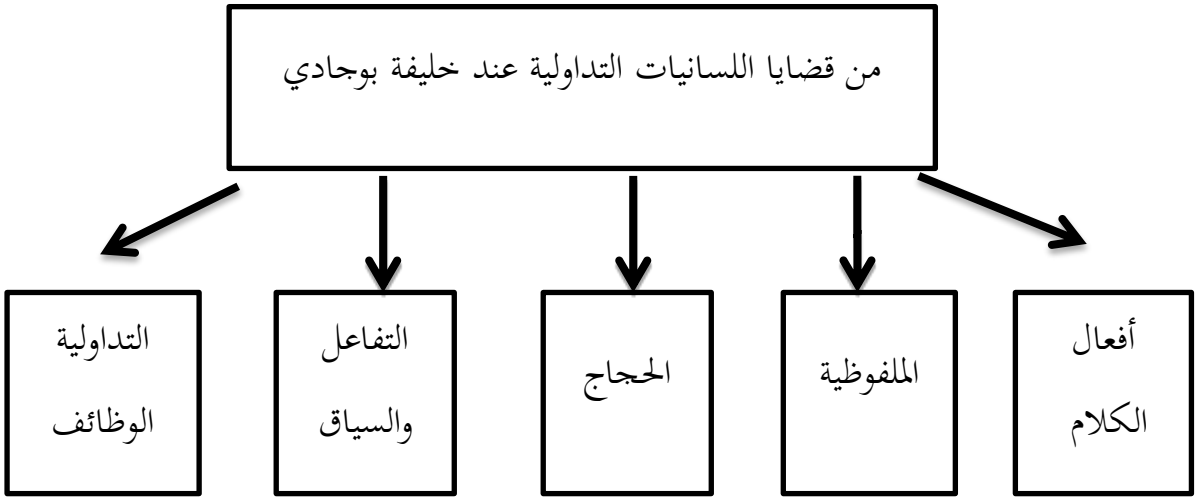


**ج_ عند واضح أحمد:**[2]

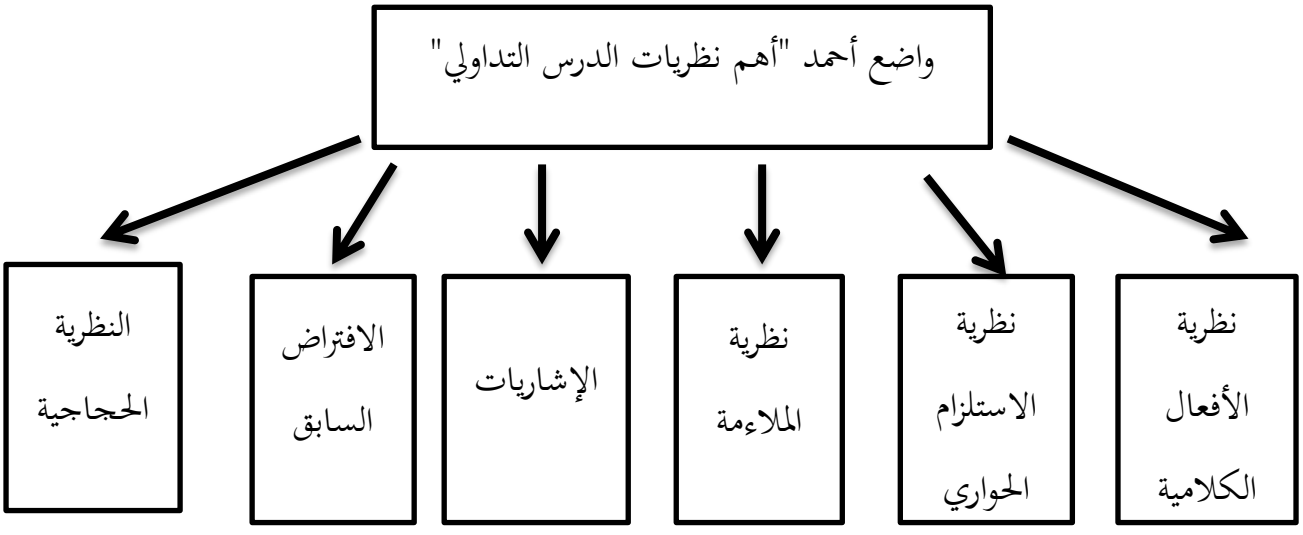


[1] خليفة بوجادي ،المرجع نفسه، ص من ٨٦ إلى ١١٧.

[2] واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من ق ٣ هـ إلى ق ٧ هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، ٢٠١١/٢٠١٢، ص من ١٠٧ إلى ١٤١.

**د_ عند قدُور عمران:**[1]

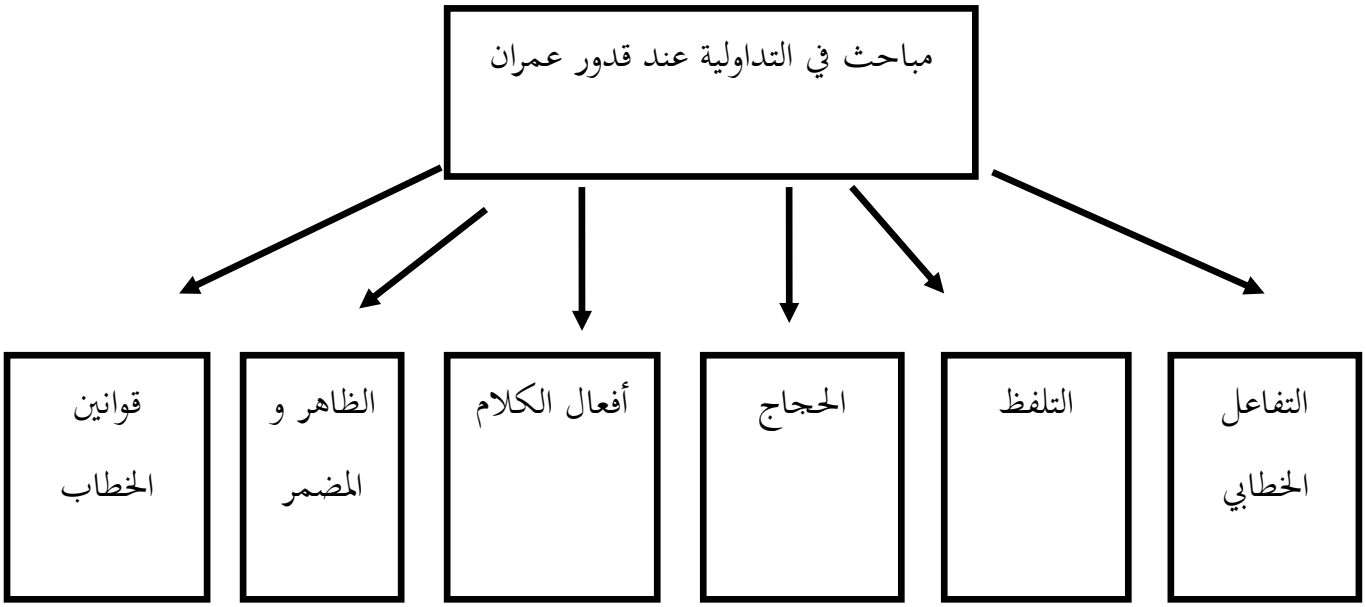


**هـ _ عبد الرحمان بوشلاغم:**[2]

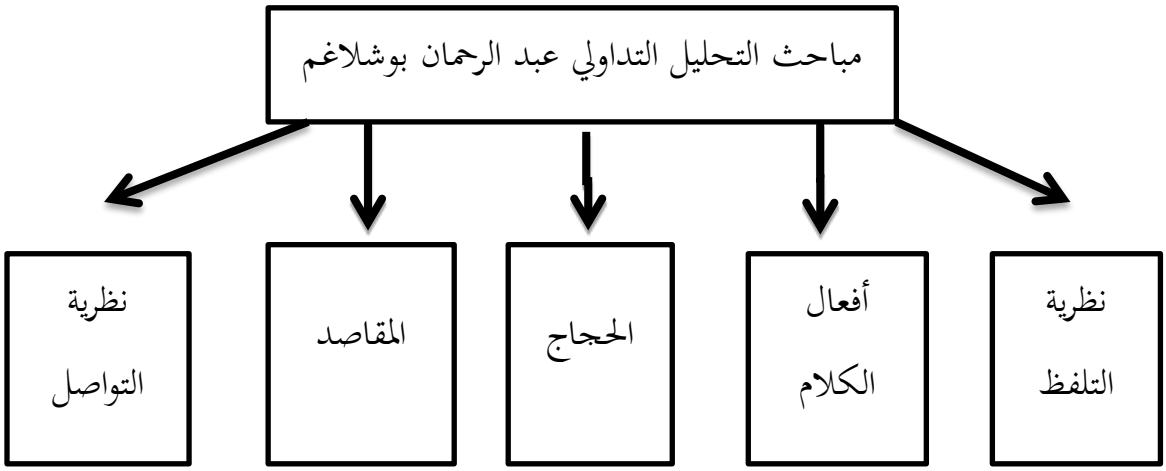


[1] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط ١، ٢٠١٢، إربد، الأردن، ص ٥.

[2] عبد الرحمن بوشلاغم، مذكرة ماجيستير، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنون أنموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٣/٢٠١٤م ، ص من٤١ إلى ٥٤.

يتّضح من خلال هذا التعدّد في التسمية أنّ التحليل التداولي لا يخضع لتصنيف واحد أو حدود ثابتة، بل يتّسم بالمرونة والانفتاح على مختلف الحقول المعرفية التي تتقاطع معه، كعلم اللغة، والفلسفة، وعلم النفس، والتواصل. وهذا التنوّع لا يُعدّ ضعفًا في الحقل، بل دليلاً على ثرائه واتساع مجاله، إذ يجمع بين النظري والتطبيقي، وبين ما هو لغوي وما هو تداولي. ومن هنا، تُعدّ مباحث التحليل التداولي محاولةً لتنظيم هذا التنوّع ضمن محاور رئيسة تمكّن الباحث من مقاربة الخطاب في أبعاده المقصدية والتفاعلية والمعرفية.

**٦_مفاتيح التحليل التداولي: من النص إلى المقصد**

يقتضي التحليل التداولي اعتماد جملةٍ من المفاتيح الإجرائية التي تمكّن الباحث من النفاذ إلى أعماق الخطاب وكشف بنياته التواصلية والمقصدية. فالفهم التداولي لا يتحقّق من خلال دراسة النص في معزلٍ عن سياقه، بل عبر قراءةٍ متكاملةٍ تراعي العلاقة بين النص والسياق، وتستند إلى آلياتٍ دقيقةٍ مثل الأفعال الكلامية والملفوظية والإشاريات والمقصدية والحجاج. وتمثّل هذه المفاتيح أدواتٍ تحليلية تسهم في الكشف عن مقاصد المتكلّم واستراتيجياته في التأثير والإقناع، لتجعل من الخطاب بنيةً حية تتفاعل مع شروط إنتاجها وتلقّيها.

**أ_ النص والسياق:**

يُعدّ النص نقطة الانطلاق في أي تحليل تداولي، إذ يمثّل الوعاء اللغوي الذي تتجلّى من خلاله المقاصد والمعاني. غير أنّ فهم النص لا يكتمل إلا باستحضار السياق الذي وُلِد فيه، لأنّ اللغة لا تُستعمل في فراغ، بل ضمن ظروف تواصلية محدّدة تحدّد معنى الملفوظ واتجاهه المقصدي.

ومن هنا، يشكّل الجمع بين النص والسياق ركيزةً أساسية في التحليل التداولي، إذ يُمكّن الباحث من الانتقال من دراسة البنية اللغوية إلى دراسة الدلالة في مقامها الاستعمالي، أي في تفاعلها مع المتكلّم والمخاطَب والمقام الزماني والمكاني.

فالسياق بمختلف أنواعه — اللغوي، والمقامي، والاجتماعي، والثقافي — هو الإطار الذي يمنح الخطاب معناه الحقيقي، ويحوّل النص من مجرّد بنية لغوية إلى فعل تواصليّ دالّ.

إن التداولية حقلٌ لسانيٌّ يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق. واعتبرت أن التواصل والتفاعل لا يتحققان عن طريق الجملة التي توقّف عندها البنيويون، بل تجاوزت ذلك إلى ما هو أكبر وأشمل وهو الخطاب.

ولمعرفة أنّ رسائل عمر رضي الله عنه ملائمة لبنية السياق، لابدّ لنا من الوقوف على عدّة مفاهيم من بينها ما يلي:

**١ــالنص**: قدم مفتاح بين يدي الدارسين مجموعة من التعريفات المتشبعة ذات امتداد سري بماهية النص وحدوده:[١]

ــفهو مدونة كلامية: بمعنى أن النص لا يمكن أن يكون صورة فوتوغرافية جامدة وإنّما حدث كلامي.

ــوهو حدثٌ بمعنى أنّه يقع في زمان ومكان محددين، لا يمكن أن يتكرر عكس الحدث التاريخي.

ــتفاعلي: أي يقوم بعملية التواصل، مع أنّ النص يمتلك وظائف أخرى.

ــتواصلي: أي إنّه يسعى إلى نقل الخبرات والتجارب إلى الآخر.

ــمغلق: أي له امتداد في الزمن من حيث إنّ الخط أيقونة تبدأ بمجال وتنتهي عنده.

فالنص ليس تجميعا لعلامات إشارية جامدة، إنه أثر لخطاب حيث توضع الكلمات في مقام ويتم إخراجها في مشاهد ( Mise en scènes). وبعدما أشار" دومنيك مانغينو" إلى أنّ الملفوظ العادي يحيل مباشرة إلى سياقات مدركة فيزيائيا يلفت الانتباه إلى أن النصوص الأدبية تؤسس مقامها التلفظي بواسطة شبكة علاقات داخلية في النص نفسه[٢].

يتّضح في نهاية القول أن النص ليس مجرد تراكيب لغوية متجاورة، بل كيان ينبض بالحياة من خلال تفاعله مع محيطه ومع متلقيه. فهو يحمل في داخله أثر المتكلم وصدى الموقف الذي وُلد فيه، ويتحرّك ضمن شبكة

[١] رشيد حليم، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد: السادس،ماي،٢٠٠٧، ص ٩٥

[٢] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط ١، ٢٠١٢،إربد، الأردن، ص ١٩.

من العلاقات التي تمنحه معناه الكامل. ومن هنا، يصبح النصّ فضاءً للتواصل والتأثير، تنصهر فيه المقاصد والدلالات في وحدةٍ تُعبّر عن خصوصية التجربة الخطابية وثرائها.

**٢_السياق:**

أ- **مفهوم السيّاق:** يمكننا القول بدءا إنّ السياق يُطلق على مفهومين :

- السياق اللغويّ.
- سياق التلفّظ، أو سياق الحال، أو سياق الموقف.

فالمفهوم الأوّل كان المفهوم الأكثر شيوعا في البحث المعاصر، فهو الجواب البديهي عندما يتبادر إلى الذهن السؤال الهامّ، وهو ( ما السياق؟ إنّه حسب المعجم تلك الأجزاء من الخطاب التي تحفُّ بالكلمة في المقطع وتُساعد في الكشف عن معناها ...) . وقد رأى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنّ هذا التعريف للسياق وإن كان صحيحا في أحد جوانبه، إلّا أنّه لا يمثّل، في عمومه، إلّا التعريف الضيّق، فقد غدا مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والمؤثّرة في الدرس اللغويّ الحديث، منذ ابتدعه ( مالينوفسكي). ليتّسع مفهوم السياق، خصوصا في الدراسات التداوليّة، بما أنّها تعدّه أساساً من أسسها المكينة.ولهذا تجاوز الباحثون التعريف النموذجي إلى التعريف الأرحب للسياق، فأصبحت تُعرَف مجموعة الظروف التي تحفّ حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، وتسمّى هذه الظروف، أحيانا، بالسياق (Context).[١]

ب- **أنواع السياق:** قام بإجمالها عبد الهادي بن ظافر الشهري في خمسة أقسام:[٢]

**_ السياق النصي:** قدّم نحو النص وتحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة (...) وكذلك بعض النماذج الحجاجية في بعض نماذج الخطاب مثل الخطاب السياسي.(...) فلنمكّن المرسل إليه من اكتشاف دلالة هذه الوحدات الكبرى، فمن المهم أن ننظر إليه من خلال علاقته بالإجراءات الاجتماعية النفسية.

[١] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص ٤٠ /٤١.

[٢] المرجع نفسه، ص ص من ٤٢ إلى ٤٤.

**_السياق الوجودي:** ويتضمن هذا السياق المرجعي، بطبعه، ( عالم الأشياء، حالاتها، الأحداث ) والتي ترجع إليها التعبيرات اللغوية، ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يُدْرَك أنّ المرسل والمرسل إليه، وكذلك موقعهما الزماني والمكاني. هي مؤشرات للسياق الوجودي.

**_السياق المقامي:** يوفّر السياق المقامي جزئيا، بعض العوامل أو المحدّدات التي تُسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية، والمقامات، بوصفها سياقا، هي صنفٌ متأصّلٌ في المحددات الاجتماعية(...) إذ تؤطر هذه المحددات خصائص المحادثة في النصوص الكبرى

وكذلك في بناء الخطاب الإقناعي والحجاجيّ، من خلال قوانين وأنظمة معينة.

**_سياق الفعل:** النقطة الجوهرية في نظر التداولية هي أنّ الأفعال اللغويّة أفعالٌ إرادية، إذ يقصد المرسل إنجازها ، ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد.ويمكن أن يضاف الشرط التفاعليّ، لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يشاركون بها في السياق التواصليّ، هي السياق الدافع لإنتاج التفاعل اللاحق.

**_السياق النفسي:** فاعتبار الخطاب فعلاً، وأنّ الفعل اللغوي قصدٌ مشروط، يقودُ إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة، لتصبح المقاصد والرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل.

ج- **عناصر السياق:** من البيّن أنّ أثر هذه العناصر ليس مقتصراً على لحظة التلفظ فقط، بل يمتدُّ إلى ما قبله. وإلى بيان شيء من تلك العناصر، ودورها في الخطاب.[1]

**_المُرسل:** هو الذات المحوريّة في إنتاج الخطاب، لأنّه هو الذي يتلفّظ به من أجل التعبير عن مقاصد مُعينة وبغرض تحقيق هدف فيه. (...) وقد لا يقتصر حضورُ ذات المرسل على لحظة التلفّظ الخطابي، بل يظلّ باقياً في خطابه ما بقي الخطاب ذاته، ممّا يشي باستمرار عمليّة التلفّظ، كما هو الحال في الأوامر المكتوبة.

[1] المرجع نفسه، ص من ٤٥ إلى ٤٨.

**_المُرسل إليه:** وهو الطرف الآخر الذي يوجّه إليه المرسل خطابه عمدا.(...) وحضور المرسل إليه، سواء أكان حضورًا عينيّاً، أم استحضارًا ذهنيّاً يُسهمُ في حركية الخطاب، بل يُسهمُ في قُدرة المرسل التنويعيّة، ويمنحه أفقًا لممارسة اختيار استراتجية خطابه.

**_العناصر المُشتركة:** لا يقتصرُ الأمر على دور كُلّ من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الآخر، أو بمعزل عن محيطهما، فهناك العلاقة بينهما والمعرفة المشتركة وغير ذلك من العناصر المؤثّرة. وتُعدّ المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة، وهي الرصيد المشترك بين طرفي الخطاب. وهي الأرضية التي يعتمدُ عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل، إذ ينطلقُ المرسل من العناصر السياقيّة في إنتاج خطابه، كما يُعوّلُ عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتّى يتمكنا من الفهم والإفهام، أو الإقناع والاقتناع.

## ٣- نظرية الملاءمة (Theorie de la pertinence):

أرسى معالمها كلّ من ديردن.ويلسن (D. Wilson ) ودان سبربر (D.Sperber) سنة (١٩٨٩) على خلفية الاستفادة من مبادئ التعاون ل( غرايس_Grise) التي قلصتها في مبدأ من مبادئها المتمثّل في الملاءمة[١]."فمبدأ الملاءمة لا يقلّ أهمية عن مبدأ التعاون، ويُعدُّ مسلَّمة أساسية في التبادل الخطابي، ومبدأ الملاءمة يجعل القول مفيدا بغض النظر عن كونه مخبرا أو غير مخبر، فهو يثري معلومات ومدركات المستمع ويجعله يعدل باستمرار في مدركاته. وتقويم الملاءمة يعود إلى المتلقين، فمن خلال معارفهم يحكمون على ملاءمة الملفوظ، وإذا كان المتكلم يسعى إلى المتلقّين، فمن خلال معارفهم يحكمون على ملاءمة الملفوظ، وإذا كان المتكلم يسعى إلى جعل الملفوظ ملائما قدر الإمكان فالمستمع يُفترض أنّه يحترم مبدأ الملاءمة."[٢]

[١] خيرة عمامرة، رسائل لسان الدين بن الخطاب في كتابه ( ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب) مقاربة تداولية، رسالة ماجيستير، جامعة الأغواط عمار ثليجي،٢٠١٠/٢٠١١ ص ٦٥

[٢] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ،ص ٧٢

يُبرز مبدأ الملاءمة البعد التفاعلي في العملية التواصلية، إذ لا يُنظر إلى الخطاب بوصفه نقلاً للمعلومات فحسب، بل باعتباره نشاطاً معرفياً يسعى فيه المتكلّم والمتلقّي معاً إلى تحقيق فهمٍ أمثل. فالملاءمة تُقوَّم وفق معارف المتلقين وسياقاتهم الإدراكية، ومن خلالها يُحدَّد مدى اتساق الملفوظ مع المقام الخطابي. ومن ثَمّ، يُعدّ هذا المبدأ محوراً تداولياً أساسياً يضمن فاعلية التواصل، ويكشف عن عمق العلاقة بين المقصدية والفهم في بناء المعنى داخل الخطاب.

وهذا ما سنحاول استجلاءه في تطبيقنا على رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ تمثّل هذه الرسائل نموذجاً حيّاً لتجلّي مبدأ الملاءمة في أوضح صوره، من خلال تكيّف الخطاب مع المقام، وتوازن البنية اللغوية مع المقصد التداولي.

**٤_الأفعال الكلامية les actes de parole** :

بعد أن تبيّن دور مبدأ الملاءمة في تحقيق الفاعلية التواصلية داخل الخطاب، يقتضي التحليل التداولي الانتقال إلى مبحث آخر لا يقلّ أهمية، وهو مبحث الأفعال الكلامية. فقد مثّل هذا المفهوم أحد المرتكزات الرئيسة في اللسانيات التداولية، إذ أعاد النظر في طبيعة العلاقة بين القول والفعل، مبيناً أنّ التلفّظ ليس مجرّد نقلٍ للمعنى، بل هو في حدّ ذاته فعلٌ إنجازيٌّ يحدث أثراً في الواقع.

وقد نشأ هذا التصوّر في الفلسفة التحليلية مع أعمال جون أوستن وتلميذه جون سيرل، ثم تطوّر ليشكّل أحد المفاتيح الإجرائية لفهم البنية التفاعلية للخطاب، لما يقدّمه من تفسير دقيق لارتباط اللغة بالفعل والتأثير، لا سيما في الخطابات ذات البعد التوجيهي أو الإقناعي.

"فالفعل الكلامي مفهوم نظري حديث النشأة، ولد في رحاب الفلسفة التحليلية الغربية التي مهد لها الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه (G/Frege) في مؤلفه ( أساس علم الحساب) (Les fondements de l'arithmétique) الذي كان بمثابة انقلاب فلسفي جديد "[1]، وقد لقيت

[1] ملاوي صلاح الدين، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مقال كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص٢.

هذه النظرية اهتماما كبيرا سواء باعتباره مبحثا لسانيا حديثاً أو باعتباره مبحثا منطقيا وفلسفياً وتداولياً فقد "أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية . وفحواه أنّه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك، يعدُّ نشاطا ماديّاً نحوياً يتوسل بأفعال قولية (Locutoires Actes) إلى تحقيق أغراض إنجازية (Actes Illocutoires) كالطلب والأمر (...) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعية أو مؤسساتية ومن ثمّ إنجاز شيء ما"[1]. فلكل فعل غايات تأثيرية معينة كصفة فعل الأمر التي لها عدة أغراض كالإباحة والوجوب والطلب... كقولنا:

افتح الباب فإنّه يفهم من السياق معانٍ متعددة .

افتح الباب، افتح الباب يدّل هذا التكرار على أني آمرك بالقيام بالفعل المأمور به، والإنشاء هنا دالٌ على الوجوب.

افتح الباب كما أفعل وهنا دال على الإرشاد كأني أقول أنصحك أن تفتحه.

افتح الباب إن أحببت والأمر هنا للإباحة[2].

"وبما أنّ أفعال الكلام تُعَدّ الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية (...) وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من أوستين "[3]. سنعرض أقسامها عنده ثمّ نبيّن تقسيمات سيرل .

**أ _نظرية الأفعال الكلامية حسب النموذج الأوستيني:**

[1] مسعود صحراوي، ص ٥٤/٥٥.

[2] أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأفعال بالكلام، ت: عبد القادر قينيني، ص٩١.

[3] المرجع نفسه، ص ٨٦.

أسس "أوستين"[1] نظريته هذه في أفعال اللغة، فقد انطلقت نظريته من مُسَلمة مفادها أنّ العبارات اللغوية ليس من صفتها الإخبار فقط، بل هي تؤدي أيضا العمل بالتكلم (...) فالأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية لها جانبان:

١. جانب نطقي لغوي: هو الفعل التكلمي (Acte illocutoire) .
٢. جانب فعلي إنجازي: هو الفعل التكليمي (Acte perlocutoire) .

بحيث ليست هذه الأقوال مجرّد رغبة في إقران الأفعال بالكلام، بل هي يقترن فيها القول بالفعل، هذا مضمون دعوى أوستين في الإتيان بالأفعال بواسطة الأقوال[2].

" ويمكن تلخيص أهم ما قدّمه أوستين لنظرية الفعل الكلامي في ثلاث أفكار أساسية تشكل ثلاث مراحل مهمة من مراحل بحثه وهي:

١. معارضة أوستين لأطروحة فلاسفة اللغة الوضعانيين وذلك عن طريق محاولة تمييزه بين الملفوظات الوصفية والملفوظات الإنجازية .
٢. تقييمه للمعايير التي وضعها لتحقيق نجاح الفعل الكلامي أو كما يسمى أيضاً ( الفعل اللغوي ) Acte de langage .
٣. اعتبر أوستين في المرحلة الثالثة من مراحل بحثه أنّ جميع الجمل اللغوية هي قول وعمل في الوقت ذاته، فالمتكلم ينجز عمله بمجرد تلفظه بقول ما هو إنجاز لفعل ما في الوقت نفسه لنظرية الأفعال الكلامية"[3].

[1] جون لونغشاو أوستين، John Langshaw Austin هو أحد الفلاسفة جامعة أكسفورد في القرن ٢٠ وأحد أهم النقاد المعروفين، حيث كانت آراؤه محطّ اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس واللغة وغيرها...

[2] الحسين أخدوش، نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين، أسسها وحدودها الفلسفية، بحث محكم، ٢١ أكتوبر ٢٠١٦، ص ١٨/١٧.

[3] آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية، ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠١٠/٢٠١١م، ص١٠٠.

**_أقسام الفعل الكلامي:** توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم "الفعل الكلامي الكامل"

(Acte de discours intégral) إلى ثلاثة أفعال فرعية ، على النحو الآتي:

فعل القول أو ( الفعل اللغوي) Acte locutoire: ويراد به " إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة". ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة : المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. ولكن أوستين يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة .

الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها والفرق بينه وبين فعل القول هو أنّ هذا الأخير هو مجرد قول شيء بينما المتضمن في القول هو قيام بفعل ضمن قول شيء .

الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire : وهو ما سمّاه بعضهم بالفعل التأثيري، فمع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول "القوة" فقد يكون الفاعل " المتكلم" قائماً بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر كالإقناع والإرشاد...[1].

**_خصائص الفعل الكلامي لدى أوستين:**

يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- أنه فعل دّال.
- أنه فعل إنجازي: أي إننا ننجز أشياءً وأفعالاً بكلماتنا الدالة .
- أنه فعل تأثير: أي أن يترك آثاراً معينة في الواقع خصوصاً إذا كان فعلاً ناجحاً.[1]

[1] مسعود صحراوي، ص ٥٥/٥٦.

**ب_سيرل والأفعال الكلامية:**

بعد أن ألقى أوستين الضوء على مفهوم الأفعال الكلامية وأوضح أن الكلام ليس مجرد نقل للمعلومات بل أداء لأفعال، جاء جون سيرل ليطور هذه النظرية ويقدم تصنيفاً أكثر وضوحاً ودقة للأفعال الكلامية. فبينما ركز أوستين على الفكرة العامة لأداء الكلام كفعل، اهتم سيرل بتحديد أنواع الأفعال الكلامية وشروط نجاحها، موضحاً كيف يمكن للمتكلم عبر النية والكلمات أن يؤثر في الواقع بطريقة ملموسة. ومن خلال هذا التوسع، أصبح بالإمكان دراسة الكلام ليس فقط من منظور لغوي، بل أيضاً من منظور فلسفي اجتماعي يعكس العلاقة بين اللغة، النية، والواقع.

يُعدُّ سيرل من المقتدين بأوستين في مسألة اعتبار أنّ كلّ ملفوظ لساني يساهم في إنتاج أثر معين "فهو أوّل من أوضح فكرة أوستين السابقة، وشرحها أكثر بتقديم شروط إنجاز كلّ فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك: وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود، فقول من في المكتب لمن يدخل عليه: "تركتَ البابَ مفتوحاً"، يخضع لجملة من الخطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه منها:

- إنّ الضجيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحاً ⟵ للأمر.
- المكتب مكيف ولا ينبغي ترك الباب مفتوحاً ⟵ للطلب.
- من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقاً حال دخولك ⟵ للعتاب.

**_أقسام الفعل الكلامي عند سيرل:**

ومما قدّمه سيرل أيضاً أنّه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميّز بين أربعة أقسام:

- فعل التلفظ ( الصوتي والتركيبي ).
- الفعل القضوي ( الإحالي والجملي ).
- الفعل الإنجازي ( على نحو ما فعل أوستين ).

[1] المرجع نفسه، ص٥٩.

- الفعل التأثيري ( على نحو ما فعل أوستين )[1].

بالإضافة إلى هذه الجهود " سرعان ما أعاد سيرل اقتراح خمسة أصناف لها:

١. **الأخبار Assertifs**: ( تبلغ خبراً، وهي تمثيل الواقع) وتسمى أيضاً: التأكيدات، الأفعال الحكمية .
٢. **الأوامر Directifs**: تحمل المخاطب إلى فعل معين).
٣. **الإلتزامية Commissifs**: (أفعال التعهد)، وهي أفعال التكليف عند أوستين، حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين.
٤. **التصريحات Expressifs** : وهي الأفعال التمرسية عند أوستين وتعبّر عن حالة مع شروط صدقها.
٥. **الإنجازية Déclaration** : ( الإدلاءات) تكون حين التلفظ ذاته.[2]

بالإضافة إلى هذا ميّز بين نوعين من الأفعال الكلامية :

أ **الأفعال الكلامية المباشرة:** ونعني بها أن يطابق المعنى ما نتلفظ به حرفياً وأن يكون كلامنا خالياً من الغموض، أي هو ذلك الفعل " الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم، أي أن يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة"[3].

ب **الأفعال الكلامية غير المباشرة** : وهي التي يخالف فيها ظاهر القول أي "أن يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر ممّا يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عندهُ اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق"[4].

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص٨٩/٩٩.

[2] المرجع نفسه، ص١٠٠.

[3] علي محمود حجي الصراف في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٩٨.

[4] ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص٣٧٠.

وبالإضافة إلى هذه الجهود قدم سيرل مجموعة من الشروط المتعلقة بنجاح الإنجاز وهي:

_ **شروط المحتوى القضوي:** بأن يكون الكلام معنى قضوي نسبةً إلى القضية Préposition التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع Référence، ومتحدث به أو خبر Prédication والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية. بمعنى أنّ هذه المكونات ذات العلاقة الإسنادية التي تؤطر وتحكم المحتوى القضوي لأي صيغة لغوية أو فعل كلامي.

١. **الشرط التمهيدي Preparatory** : أي أن يكون المتكلم في الوضع الذي يؤهله لإتمام الإنجاز، ويتحقق هذا من خلال مراعاة الظروف المحيطة بعملية إنتاج الكلام.

٢. **شرط الإخلاص Sincerity** : أي أن ينوي المتكلم إنجاز الفعل الذي تسنده القضية المطروحة، فلا يقول غير ما يعتقد.

٣. **الشرط الأساسي Essentiel** : ويتم تحقيقه حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل أي أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ. [١]

يتبيّن من خلال ما تقدّم أنَّ جون سيرل لم يكتفِ بتطوير ما بدأه أوستين في نظرية الأفعال الكلامية، بل عمّقها من خلال تحديد الشروط المكوِّنة للفعل الكلامي، وعلى رأسها شروط المحتوى القضوي التي تُعدّ جوهر تحقق الفعل قصدياً وتداولياً. وقد أبرز سيرل أنّ القول لا يُختزل في بنيته اللغوية فحسب، بل يقوم على قوة إنجازية تعبّر عن نية المتكلّم وتستدعي استجابة المتلقّي ضمن سياقٍ تواصليٍّ محدّد.

ومن هنا، تكتسب نظرية سيرل قيمتها الكبرى في كونها تمكّننا من تحليل الخطاب لا بوصفه مجموعة من الجمل، بل باعتباره أفعالاً لغوية ذات أثر واقعي ومعنوي، وهو ما يجعلها إطارًا مناسبًا لتناول رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، التي تزخر بالأفعال الكلامية بمختلف أنواعها، وتعبّر عن تفاعلٍ لغويٍّ حيٍّ بين المرسِل والمخاطَب.

وسيُظهر تطبيق هذه النظرية على رسائل عمر كيف تجسّدت الأبعاد التداولية فيها، من أمرٍ ونهيٍ ووعدٍ ونصحٍ وتقريرٍ، مما يجعل القول فيها فعلًا مقصودًا وذا أثرٍ فعليٍّ في المتلقّين.

[١] واضح أحمد، الخطاب التداولي، ص١٢٢/١٢٣.

**٥_الملفوظية " نظرية التلفظ" L'énonciations** :

يُعدّ التلفّظ من المفاهيم المحورية في اللسانيات التداولية، إذ نقل الدرس اللغوي من التركيز على البنية إلى الاهتمام بالفعل اللغوي في سياقه. فالتلفّظ هو اللحظة التي تتحوّل فيها اللغة من نظامٍ مجرّد إلى ممارسةٍ تواصليّةٍ حيّة، تُبرز حضور المتكلّم وموقفه من الخطاب.

وانطلاقًا من هذا التصوّر، ظهر الاهتمام بنظرية التلفّظ باعتبارها خطوةً مكمّلة لما قدّمته نظرية الأفعال الكلامية، الأمر الذي يستدعي الوقوف أوّلًا عند مفهوم التلفّظ وتعريفه.

**أ_تعريف الملفوظ:( L'énoncé)** :

الملفوظ نتاج Résultat إنه نتاج إجرائي وعملي، لساني واجتماعي، أما الجملة فإنها تنتمي إلى بنية نظرية مجردة ومستقلة، خاضعة للوصف النحوي. (...) وهي ملفوظ إذا سجلت في سياق معين كأن تكتب باللون الأحمر وتوضع في إطار[١].

"الملفوظ إنجاز فعال، متماسك، واقعي، متعلق بالنشاط الذي ينتج عنه ويشهد عليه في آن هذا النتاج يحمل علامات إنتاجه، تلك التي تتضمن مختلف التركيبات المتجددة في كل تجربة لسانية أو تلفظية فهو إذا مجرد عن الاستقلالية"[٢] .

قد بين رومان جاكبسون معالم النشاط التلفظي في المخطط البياني في المحادثة المنسوب إليها وعلى رغم من الانتقادات التي وجهت إليه إلا أنه يطرح قواعد نظرية التلفظ [٣]

[١] قدور عمران، البعد التداولي والحجاج في الخطاب القرآني، ص١٦.

[٢] المرجع نفسه، ص١٦.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٧.

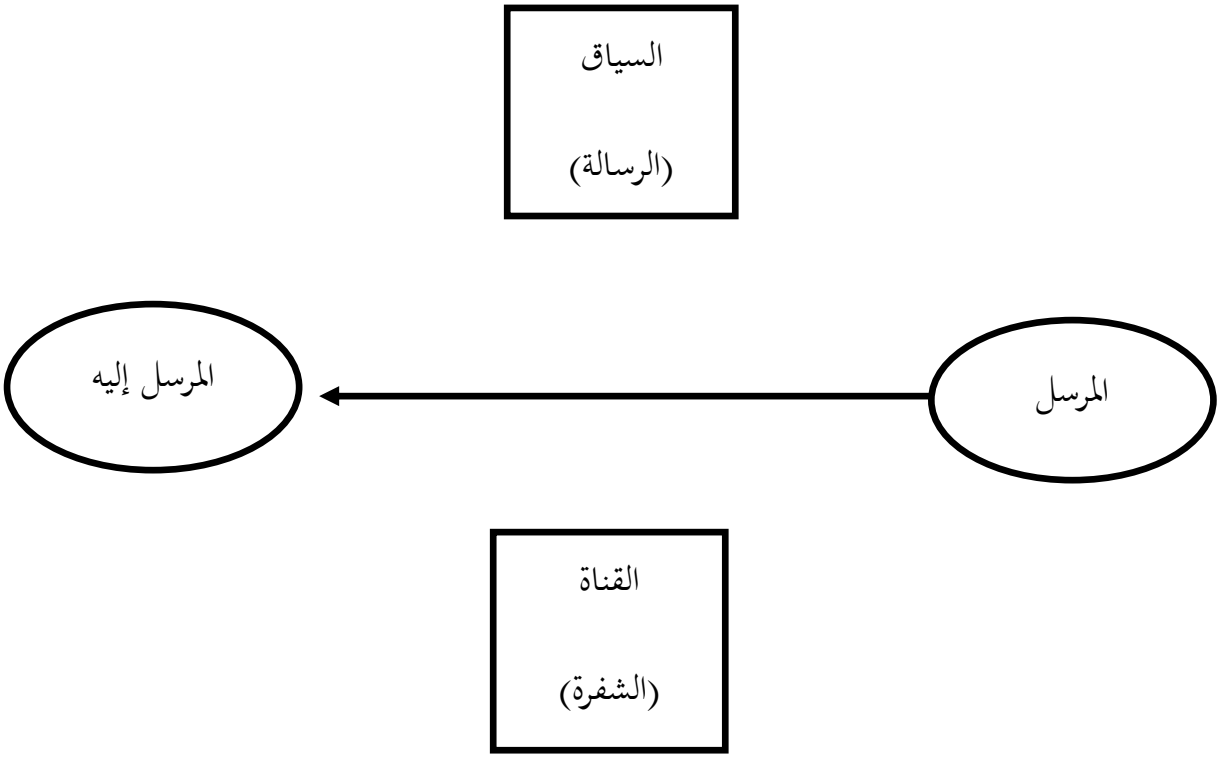


أشار إلى هذا المصطلح (شارل بالي) في كتابه " اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية"، وتقوم فكرة الملفوظية أساساً على جهود بينفنست في شرح ثنائية سوسير "اللغة والكلام" حيث بين أن ثمّة فرقاً عميقاً بين اللغة بوصفها نظاماً من الأدلة، واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد، وهذا المستوى الأخير هو أساس تحليل الخطاب في نظره.

والملفوظية هي عملية إنتاج الملفوظ، ويكتسي تعريفها، الطابع العلمي، حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة، وتشكلها مجموع العوامل والأفعال التي تُسهّل إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل ذاته، وهو حالة خاصة من حالاتها. وتمثل ثلاث خصائص أساسية هي:

- تؤدي الخبرة الإنسانية في استخدام اللغة، من خلال بروز المتكلم (أنا)، وهي بذلك تسمح بمرور اللغة من الحالة الافتراضية إلى ما يطلبه الموضوع.
- تكون وفق ما يريده المتكلّم .
- نتيجتها أنّ الخطاب يسمح بوصف العالم وتقرير الحاجات المرجعية[1]

**ب_الجهاز الشكلي للتلفظ**: (**L'appareil formel de l'énonciation**) :

ينسب هذا المفهوم إلى إميل بنفنست، وهو يشير إلى مجموعة أشكال لسانية يمكن ملاحظتها في الملفوظ والتي تحيل إلى مقام التلفظ تسمى هذه الأشكال (العناصر الإشارية) (déictitiques) .

والعناصر الإشارية هي بمثابة علامات لحدث التلفظ .

والمثلث السيميائي المنسوب إلى ( شارل أوجدن) و( إيفور ريشارد) يقترح تمثيلا للعلامة اللسانية يولج مفهوم المرجع في المثلث ولكن يفصله عن بقية المكونات .فالمرجع ليس له علاقة مباشرة مع الدال بحيث يرتبط به بخط منقطع. رغم أن المخطط يبقيهما منفصلين[2].

مدلول

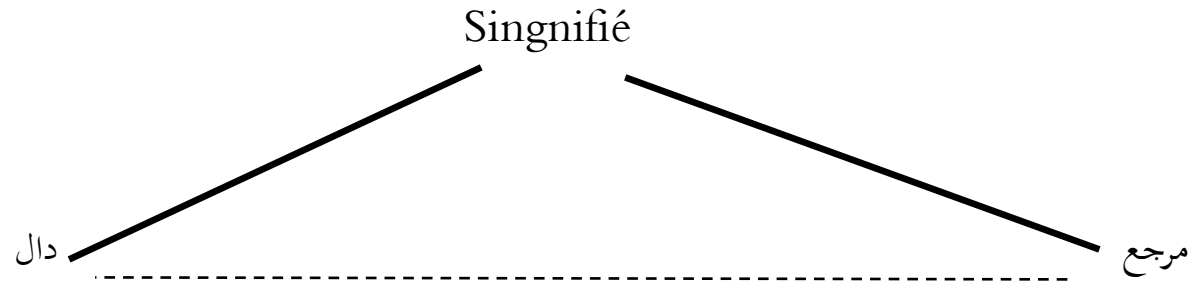


[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص١٠٤.

[2] قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني، ص١٨.

Référent _Signifiant

**٦_الإشاريات:(Dèictique):**

**أ_ مفهوم الإشاريات:** تعتبر الإشاريات بمثابة جانب مهم من جوانب الدرس التداولي، "وهي من العلامات اللغوية التي لايمكن القبض على مرجعها الذي يحيل إليه إلّا من خلال القبض على مجال سياق الخطاب التداولي على أساس أنّها لا تشتمل على أي معنى في ذاتها.(...) فالإشاريات تبقى غامضة غير محددة بشكل واضح لأنّ المرجع دينامي غير ثابت ومستقر في معظم الأحيان" [١] فالإشاريات لا نفهم إلى ما تحيل إليه إلا بوجود السياق التي وُضعت فيه،كأسماء الإشارة (هذا، هذه،...)، والضمائر(هو، هي، هنّ...)، والأسماء الموصولة (الذي، التي، الذين ...).

"ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في إستراتجية الخطاب، وذلك لأنّ التلفّظ يحدث من ذات بسمات معينة، وفي مكان وزمان معينين، هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي: (الأنا، الهنا، الآن) "[٢].

**ب_ أنواع الإشاريات** : لا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الثلاث : (الأنا، الهنا، الآن)، ويمثل كل منها نوعا من الإشاريات، نلخصها في مايلي:[٣]

**أنواع الإشاريات**

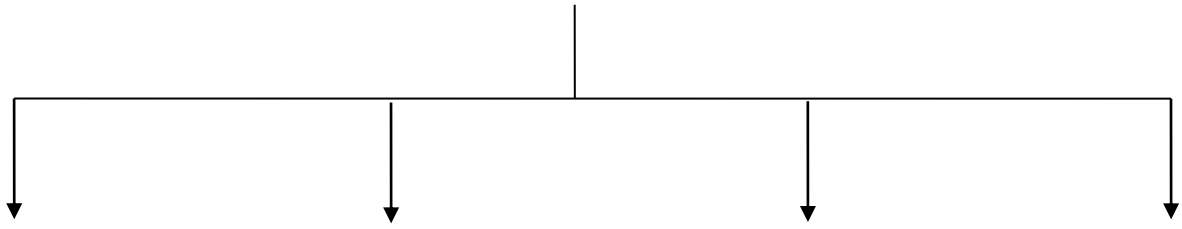

[١] المرجع نفسه، ص ص ١٣٤/١٣٥.

[٢] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتجيات الخطاب، ص ٨٢.

[٣] المرجع نفسه، ص من ٨١ إلى ٨٤.

إشاريات شخصية إشاريات زمانية إشاريات مكانية إشاريات اجتماعية

_**الإشاريات الشخصية** : وهي الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب. وحضور(الأنا) يرد في كل خطاب، ولهذا فالمرسل لا يضمنها خطابه شكلا في كلّ لحظة. مثلا : تلفظ المرسل بالخطاب التالي مُخبراً غيره:

- نزل المطر.

فإنّ قوله يتضمن بعداً إشارياً هو:

- أنا أقول، نزل المطر.

_**الإشاريات الزمانية:** لحظة التلفظ هي المرجع، لذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطاً قوياً، وربط الزمن بالفاعل، فمن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعاً يحيل عليه، كما في خطاب صاحب المتجر التالي:

- سأعود بعد ساعة.

فلا يستطيع المرسَل إليه معرفة الوقت الذي سيعود فيه المرسِل إلّا بمعرفة لحظة التلفظ كي يبني توقّعه عليها.

_**الإشاريات المكانية:** إن تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء، وذلك كما في خطاب السائق عندما يهاتف صديقه، ليُبلغه عن مكان وجوده بقوله :

- تقع الجامعة على يميني .

فبالرّغم من اكتمال الخطاب لغةً، وبالرّغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلّا أنّه يصعب عليه معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلّا إذا استطاع أن يعرف اتّجاه سير المرسل.

_ **الإشاريات الاجتماعية:** وهي ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو غير رسمية(...).[1] فهذه الإشاريات هي التي تسهم في تحقيق إقامة التواصل في الخطاب وتعزز الثقة بين المتخاطبين من أجل إنجاح التخاطب أو الحوار.

نستنتج ممّا سبق أنّ الإشاريات مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللّغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلّمة، أو الزمان أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذّي يرتبط به معناه،[2] فهي تعمل على تفسير الملفوظات في الخطاب ولا تتحدد دلالتها إلاّ من خلال سياقها.

**٧_ المقصدية:**

تُعدّ المقصدية من الركائز الجوهرية في الدرس التداولي، إذ تعبّر عن النية التواصلية التي تحرّك المتكلّم لإنتاج خطابه. فهي التي تمنح القول معناه العميق، وتحوّله من مجرّد بنية لغوية إلى فعلٍ تواصليٍّ مقصودٍ.

ولا يكتمل فهم الملفوظ إلا بالوعي بما يريده المتكلّم من ورائه، لأن المقصد هو الذي يحدّد نوع الفعل الكلامي ويكشف غايته التداولية.

وتتجلّى أهمية هذا العنصر أكثر عند دراسة رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ تعبّر كل رسالة عن مقصدٍ تواصليٍّ واضح، يتنوّع بين الإرشاد والتوجيه، والأمر والنهي، والنصح والتذكير، مما يجعل المقصدية مفتاحًا أساسياً في تحليلها وفهم مقاصدها التداولية.

**أ_ مفهوم المقاصد:**

[1] عبد الله جاد كريم ، التداولية في الدراسات النحوية، ص ٤٥.

٢ عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي، ص ٥٠.

يمثل القصد الهدف من التواصل الذي يحققه الأفراد فيما بينهم " وعليه فلا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد، ينطبق هذا على الفعل الذهني أو الجسدي ولا ريب أنّ كل فعل من هذه الأفعال يأتي لتحقيق هدف معين "[1].حيث يرتكز دور المقاصد، بوجه عام، على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، حيث وجب عليه مراعاة السياق الخارجي، مع انتخاب الاستراتجية التي تتكفل بنقله بالصورة المرادة .

وقد بين الأستاذ قدور عمران تحت عنوان التفاعل الخطابي Interaction discursive أن القصد في الخطاب يقوم عند بعضهم على الرغبة في إثبات صحة الموقف الذي يتبناه المتكلم وفي الآن ذاته دحض الموقف المخالف ونسفه أو تصحيحه. في حين يحرص الآخرون على أن غاية التفاعل في الموقف الاتصالي اللغوي تكمن في تصحيح ما انطبع في ذهن المتلقي من أفكار خاطئة بشأن المتكلم، فتكون لفعله الكلامي نتيجة مزدوجة تتمثل في إنقاض وجهه السلبي وحماية فضائه الذاتي من ناحية، ودعم وجهه الإيجابي من ناحية أخرى. وفريق ثالث يرى أن التفاعل الخطابي غايته أن يلح على رغبة المتكلم في استدراج المتلقي إلى الاقتناع برأيه، وحمله عن طريق البرهان على تعديل موقفه والعمل وفق ما يمليه المتكلم من أحكام كثيرا ما تستجيب لمصالحه أو مطامحه [2].

وصنّف عبد الهادي ظافر الشهري دلالتين لمفهوم القصد وهما :

١. القصد بمفهوم الإرادة.

٢. القصد بمفهوم المعنى.

- أمَّا الأوّل فهو أن تصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها وليست تابعة لشكلها الظاهري فقط، مثلما فعل بعض النحاة كاشتراطهم لوجود القصد في الكلام .
- والقصد بمفهوم المعنى، فهناك من يعتبر أن المقاصد هي المعاني نفسها مثل الشاطبي الذي عقد فصلا تحت عنوان "المعاني هي المقصودة"، حيث يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناء على أن العرب إنما كانت عنايتهم بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات تحليل الخطاب، ص ١٨٨.

[2] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص ٩.

أجلها (...)، فاللفظ هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد والمعنى هو المقصود.[1]

**ب_ أهمية المقاصد في الخطاب :**

وللمقاصد أهمية كبيرة في نجاح عملية التواصل، "ولا يقف دوره عند إيجاد العلاقة الدلالية في العلامة اللغوية بين الدال والمدلول بل يمتد إلى استعمالها في الخطاب لاحقا، إذ إنه بعد وقوع التواضع نحتاج إلى قصد المتكلم بها واستعماله فيما قررته المواضعة، ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها لأن فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن نأمر قصدناها. وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور، ويتأثر في كونه أمرا له، فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكين لتقويم الآلات، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات"[2].فللمتكلم دور بارز في إنجاح عملية التخاطب وإيصال الخطاب بالقصد المراد على أكمل وجه، فالناس عادة ما تثير عدة أسئلة أثناء الخطاب، التي منها :

ماذا تقصد بخطابك ؟ ماذا يعني كلامك ؟.... "فتجنبا لهذا السؤال المفترض، يعمد طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والعبارات مسبقا، خصوصا عند سنّ القوانين أو الأنظمة، وكذلك في النقاشات والحجاج، وذلك لينطلقوا من قاعدة واحدة فتكون مرجعا لهم عند الاختلاف. بل قد يستعملها أيّ منهما حجة ضد الطرف الآخر، وذلك عند الاختلاف ومحاولة التملص"[3]. ومنه فلابد للمتكلم أن يختار الخطابات التي تفعل التواصل وينتقي الحجج التي تعمل على نجاح النقاشات داخل العملية التواصلية. فقد لا يستطيع بعض الأشخاص إيصال مقاصدهم لمن يخاطبون، ويصعب عليهم إيجاد الكلمات والجمل التي تحقق مرادهم من الخطاب الذي يتلقونه.[4]

**٨_ الحجاج "Argumentation ":**

[1] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص١٩٥

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص ١٨٣

[3] المرجع نفسه، ص ١٨٤.

[4]

يعد الحجاج من أهم مرتكزات التحليل التداولي، تتجذابه مجموعة من الحقول المعرفية كالفلسفة والقانون واللسانيات.

**١_ الحجاج لغة واصطلاحا:**

**١_١ الحجاج لغة:**الحجاج في اللغة من الدليل والبرهان " يقال: حَاجَجْتُهُ، أي حاجَجْتُه حِجَاجًا حتى حَجَجْتُهُ: أي غَلَبْتُهُ بالحُجَج التي أدْلَيْتُ بها (...)، والحجّة: البرهان، وقيل : الحُجّةُ ما دفع به الخصمُ وقال الأزهري: الحجَةُ وجهُ التي يكونُ بها الظفرُ عندَ الخصومة، وهو الرجلُ المحاجج أي جدل، وفي الحديث: حاجَجَ آدمُ موسى أي غَلَبَهُ بالحجّة "[١].

وقد عرّفه ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة حاصرا إياه في أربع معان كبرى:

أما الأول: القصدُ، وكل قصدٍ حجّ ...ثم اخْتَصَ الاسم القصدُ إِلَى بيتِ اللهِ الحرامِ، والثاني: الحجة والمقصود بها السُنّة، والأصل الثالث : الحجاج هو العظمُ المستديرُ حول العين، أما الأصل الرابع: الحُجْحُجَة: النُّكُوسُ، يقال حملوا علينا ثم حَجْحَجُوا، المحَجْحِجُ: العَاجِزُ[٢].

١_٢ **الحجاج اصطلاحا** : وبعد تعريف الحجاج في المعاجم سنعرفه اصطلاحا عند الوليد باجي، والدكتور طه عبد الرحمان، والدكتور نعمان بوقرة .

أما (الوليد باجي) فيقول :"وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا ،لأنه السبيل في معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الموضع في الجدل لما قامت الحجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[٣].نجد أن الوليد باجي ربط مفهوم الحجاج بالجدل، لأنّ الجدل حسب رأيه لولاه ما قامت الحجة ولا اتضحت .

---

[١] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة ( ح،ج،ج)، ص٢٢٧.

[٢] أحمد بن زكريا، ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٧، م ج ٢، مادة (ح،ج،ج )، ص٣٠.

[٣] أبو الوليد باجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح : عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي، ط٣، المغرب ، ص٨.

أما الدكتور (طه عبد الرحمان ) فقد قال في هذا الصدد" إن الحجاج هو كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[1]. أي إنَ كل منطوق الغرض منه إفهام السامع بحيث يصح للسامع هنا أن يؤيد أو أن يعترض على هذا المنطوق الموجّه له.

ونجد أن الدكتور( نعمان بوقرة )يرى أن " الحجاج هو كل فعل كلامي مُركّب من أفعال كلامية أخرى لها أثر في مقام التلفظ والمتلقي للخطاب، ورُبما كانت وظيفته مُحاولة جعل العقل يذعنُ لما يُطرح عليه من أفكار أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث إلى الفعل المطلوب"[2]. يتضح من تعريف الدكتور نعمان بوقرة أن الحجاج هو كل ملفوظ، أو نشاط مادي نحوي، هدفه إعمال العقل والتأثير في المتلقي .

ومنه نجد أن كلا من تعريف طه عبد الرحمان وتعريف نعمان بوقرة للحجاج يشتركان في أن الحجاج هو: أي خطاب نصدره بغرض الإفهام و التأثير.

٣_ **الحجاج في الفكر الغربي**:من خلال ذكرنا لمفاهيم الحجاج فُهِمَ بِمَا هو مُرَكَبٌ منه (حجة/ argument)

حيث عُرف بأنه معالجة المشكلات الكلامية، ممّا يتطلب مواجهة حجاجية .

وعُرف بأنّه طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويُعد الحجاج نظرية غربية حديثة من جانبين، جانب تداولي[3]، وقد ظهر ذلك من خلال أعمال ديكرو، وجانب بلاغي مع بيرلمان، فلقد وضع هذان العالمان أساس النظرية الحجاجية[4]. رغم اختلاف توجههما، علما أن البحث الحجاجي له جذور قديمة تمتد إلى اليونان وبالتحديد إلى أرسطو، الذي أرسى معالم الدرس الحجاجي، ولذلك استفاد الدرس الحجاجي الحديث من التراث اليوناني القديم فحاول بعثه من جديد في ثوب جديد ألا وهو النظرية الحجاجية .

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨، ص ٢٢٦

[2] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث،ط، ا لأردن، ٢٠٠٩، ص ١٠٦.

[3] محمد بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية ص ١٠٨.

[4] نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة العلوم الإنسانية ،السنة السابعة، العدد ٤٤، ٢٠١٠ص ١.

ويتميز الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا بخمسة ملامح رئيسية هي:[1]

- أن يتوجّه إلى مستمع.
- أن يُعَبَّر عنه بلغة طبيعية.
- مُسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- ليست نتائجه ملزمة.

**٣_١مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا** : يعتقد هذان الباحثان أن موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرضُ عليها من أطروحات، أو أن تزيد ذلك التسليم، فوجهة النظر مبنية على التركيز على كل ماهو مناسب (...) إلى إفحام المتلقي بحجج قادرة على قلب قناعاته وتصوراته."فالسمة الأساسية التي تجعل الخطاب ناجحا فعّالا هي التقنية التي يتم عن طريقها عرض للحجج المتجهة نحو المتلقّين وقلب قناعاتهم والتأثير على أفكارهم وعواطفهم، ولكن تبقى هناك مسألة مهمة ينبغي إدراجها في هذا المسعى المحَقق لنجاح الخطاب وفعاليته، وهي _ حسب رأي بيرلمان _ مراعاة السامع ( المتقبل ) المستهدف، وكذا مدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة لحصول عملية الإقناع،بالإضافة إلى مراعاة الحالة النفسية للمتلقي التي يجب عدم التغاضي عنها لحصول التأثير المطلوب"[2].

فمن كلام (واضح أحمد)هنا يتضح أنه إذا أردنا أن يكون خطابنا ناجحا لا نكتفي بوجود الحجج دون وجود تقنيات لعرضها بصورة واضحة للمتلقي تؤثر على أفكاره وتجعله يقتنع بما نقول وبما نستدل به من أفكار .

[1] عبد الرحمان بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، مجلة البحث العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠١٣ص ص ٢٢ /٢٣.

[2] واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، ص ١٤١.

وسنتطرق لشروط وظوابط عرض الحجج عند عبد الهادي ظافر الشهري تحت عنوان ضوابط التداول الحجاجي.

ومنه " فدراسة الحجاج في التقاليد الغربية المعاصرة قد نالت نصيبا مثل دراسة (بيرلمان وزميله) في كتابهما "البلاغة الجديدة بحث في الحجاج ". وما تعرض له( ديكرو ) عند حديثه عن الدلالة المدمجة ، وكان من أهم نتائجه عمله ما يسمى بالسلم الحجاج . ويعد عمل ( ميشال ميار) عن نظرية المساءلة من الأعمال الغربية التي تناولت الحجاج"[1] فالعلماء الغربيون اجتهدوا في وضع أصول النظرية الحجاجية فعرّفوها وبيّنوا ضوابطها وغايتها وأهميتها وغير ذلك .

٣_٢ **الحجاج عند ديكرو**: يرى ديكرو أنّ كل قول يحتوي على فعل إقناعي، ونظرية الحجاج عنده " تُعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية ورصد تأثيرها على المستمع ،وهذا يعني أن الأقوال اللغوية تعمل في جوهرها مُؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي دون أن يكون مُتعلقا بالسياق التداولي الخارجي كقولنا مثلا: المغاربة أفارقة، زيدٌ مغربي، إذا زيدٌ إفريقي، فهذا برهان أو قياس منطقي حتمي ..."[2] نجد أنّ ديكرو هنا ربط الحجاج بالوسائل اللغوية الحجاجية ومدى تأثيرها على المستمع، وتقريب صورة الخطاب له .

كما قدّم ديكرو مجموعة من الروابط الحجاجية منها الصريحة مثل : " لكن،إذا، حتى، كي، لام التعليل ..."وروابط أخرى يظهرها السياق التداولي وذكر العوامل الحجاجية التي هي كلمات تربط بين الحجة والنتيجة واشتملت نظريته على السلم الحجاجي الذي هو مجموعة من الملفوظات داخل الخطاب الواحد.ومجموعة من الحجج تخدم نتيجة واحدة، ثم تحدث عن التداولية المدمجة التي تربط بين مقاربة لسانية حجاجية وروابط لغوية في السياق التداولي.[3]

**٤_ النظريات الحجاجية والتداولية :**

**٤_١ السُلَّم الحجاجي: (Echelle argumentative):**

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص٤٥٤.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج،ط ١،الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦، ص ٨.

[3] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، د/ط،إفريقيا ،الشرق المغربي،٢٠١٤،ص٣٨.

تأسست هذه النظرية على الطرح اللساني للحجة" فالحجاج من هذه الوجهة مجموعة من العلاقات النصية في الخطاب ،وخاصية العلاقات الحجاجية هنا (...) أن تكون قابلة للقياس بدرجات، أي تكون واصلة بين السلالم"[1]. فالسلم الحجاجي إذن هو علاقة ترتيبية للحجج فعندما تقوم علاقة ترتيبية معينة بين حجج تنتمي إلى فئة حجاجية ما، هذا هو السلم الحجاجي. ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

- كل قول يرد في درجة ما من السلم الحجاجي يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه.
- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" و"د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليه،

والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية :

_ حصل عمرُ على الليسانس.

_حصل عمرُ على الماجيستير.

_حصل عمرُ على الدكتوراه.

فهذه الجمل تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي إلى نفس السلم الحجاجي فهي كلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة عمر العلمية. ولكن القول الأخير " حصل عمر على الدكتوراه " هو الذي يرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وهو أقوى دليل على مقدرة عمر العلمية ،و يُرمز لهذا السلم كما يلي:

ن= الكفاءة العلمية

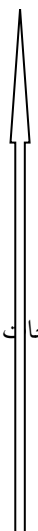

[1] صابر حباشة، التداولية والحجاج ومدخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر، د/ ط، سوريا ،٢٠٠٨، ص ٢١.

فكُلّ من الحجج والأدلة "ب"و"ج"و"د" تخدم النتيجة "ن"[1].

-**قوانين السلم الحجاجي**: وللسلم الحجاجي قوانين أهمها :[2]

- قانون النفي:إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة .

_زيدٌ مجتهدٌ، لقد نجح في الامتحان.

_ زيدٌ ليس مجتهدًا، إنه لم ينجح في الامتحان.

- قانون القلب: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التعليل على النتيجة المضادة مثل قولنا:

- حصل زيدٌ على الماجيستير وحتى الدكتوراه .
- لم يحصل زيدٌ على الدكتوراه بل لم يحصل على الماجيستير.

- قانون الخفض: إذا قلنا :

- الجو ليس باردا.

ففي هذا المثال نحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس .

إذا لم يكن الجو باردًا فهو دافئ أو حار .

[1] قدور عمران،البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص ٣٤/٣٣.

[2] المرجع نفسه، ص ٣٥

ومن صعوبة هذه الوقائع تكمن في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي.

٤-٢ **العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية**: مادامت اللغة ذات وظيفة حجاجية، فقد اشتملت على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج هذا ما سنختصره فيما يلي:

أ **العوامل الحجاجية** (**Les operateurs argumentatifs**): هي مورفيمات لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد إمكانات حجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات أهمها: ربما،تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا ....وجل أدوات القصر.[١]

ب **الروابط الحجاجية**(**Les connecteurs argumentatifs**):هي روابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتجية الحجاجية العامة. وهناك أنماط عديدة من الروابط نذكر منها :

- ✓ الروابط المدرجة للحجج:( حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ ....).
- ✓ الروابط المدرجة للنتائج : ( إذن، لهذا، بالتالي ....).
- ✓ الروابط التي تدرج حججا قوية:( حتى، بل، لكن ).
- ✓ روابط التعارض الحجاجي: ( بل، لكن، مع ذلك).
- ✓ روابط التساوق الحجاجي:( حتى، لاسيما ).

فقولنا مثلا:

- جاء زيد.
- حتى زيد جاء.

نجد أنّ القولين يخدمان نتيجةً واحدة، إلا أن المثال الثاني يقدم معلومةً جديدة المغزى منها أنّ (مجيء زيد غير متوقع) فدور الرابط تمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة في المثال الأول، فالحجتان

[١] قدّور عمران، البُعد التداولي والحجاجي، ص٣٦.

وإن كانتا تخدمان نتيجة واحدة إلا أن درجة القوة الحجاجية متفاوتة بينهما. فهذه الأدوات لها وظائف حجاجية، كل أداة حسب وظيفتها الخاصة.[1]

٥_ **ضوابط التداول الحجاجي**: هناك عدد من الضوابط الحجاجية التي يفترض في المرسل أن يلتزم بها، نذكر منها :[2]

_أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل الثوابت الدينية والثوابت المعرفية، فليس كل شيء قابلا للنقاش أو الحجاج، مثلما جاء في رسائل عمر رضي الله عنه، فأغلب كلامه في رسائله إلى الولاة مستندا على القرآن والحديث.

_أن تكون دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل إليه الخطاب محددا، لئلا ينشأ عن عدم التحديد الدقيق مشكلةٌ في تأويل المصطلحات التي من قبيل: الديمقراطية، الشفافية، الضبابية مثلا.

_ألاّ يقع المرسل في التناقض بقوله أو بفعله،كمن يدّعي أنه عضو في لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان ثمّ يستعمل في ادّعائه حججا واهية، أو بأن يسيء الأدب مع المرسل إليه، لأنه بذلك يناقض نفسه في اللحظة التي يتلفظ بها في خطابه.

_موافقة الحجاج لما يقبله العقل، فلا يمس الحجة قصور، كي لا يبدو الخطاب مزيفا.

_توفّر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، ممّا يسوّغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها، وإلّا انقطع الحجاج بينهما، وتوقفت عملية الفهم والإفهام.

_أن يأخذ المرسل في اعتباره تكوين صورة عن المرسل إليه أقرب ما تكون إلى الواقع قدر الإمكان.

[1] المرجع نفسه، ص ٣٩/.٤٠.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص ص من ٤٦٥ إلى٤٦٨.

_امتلاك المرسل لثقافة واسعة، خصوصا ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج، مثل المجال الديني أو السياسيّ، لأنّه بدون ذلك الرصيد المعرفي لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبنّي اعتراض معيّن، فتعوزه الحيلة للدفاع عما يراه، كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حججه.

وجميع هذه الشروط تتوفر في رسائل عمر رضي الله عنه، لاسيما رسائله القضائية فهي مُوجّهة لمن أرسلها إليهم، وللقضاة عامة .

٦- **أهمية الحجاج:** وبما أننا نستعمل الحجاج في جلّ خطاباتنا، فنحن لا نستعمله بدون غرض ومقاصد معينة لإقناع الطرف الآخر، حيث " تكمن أهمية الحجاج في كونه بديلا عمليّا لكثير من وسائل الإرغام مثل القوّة المادية، وبذلك فهو الأداة السلميّة التي تضمن التغيير في معتقدات المرسل إليه دون خسران، ومادام هذا التغيير يتم في هدوء ورصانة واقتناع به من لدن المنجَز له، فإنّ الحجاج بوصفه التجلي الأساسي للبلاغة أضحى خير آليّة يتسلّح بها المبدعون والسياسيّون وأصحاب النوايا المعاصرون من أجل تبرير مواقفهم وتمرير خطاباتهم في عصر السماوات المفتوحة، حيث أصبح المعنيّون _في الغالب_ غائبين عن مسرح إلقاء الرسائل اللغويّة الموجّهة إليهم، لكن درجات حضورهم تظلّ مختلفة"[١]. هذا ما جعل الحجاج الآلية المهمّة والركيزة الأساسية في كثير من المواقف الخطابية، والعمليات الثقافية.

ولم يكن الحجاج هنا فقط بل "وقد كان الأمر كذلك عند القدماء أيضاً، إذ تبلور الحجاج في شتّى العلوم والمعارف، بل وكان سببا في تنامي المعرفة بينهم، (...) وكان حاضرا في خطب الخلفاء والسلاطين والعلماء الذين كانوا يعمدون إليه بغرض إقناع الجمهور بأفضليّة خيار من بين الخيارات المتاحة في السياق الذي يحفّ بهم (...)، وبهذا فهو فعل دفع من جهة وفعل إبعاد من جهة أخرى، أو تفريغ وملء، تفريغ الذّهن من كل الاقتناعات السابقة وملؤه بما يراد من حجج وإثباتات. وقد يتزامن فعلا التفريغ والملء، فيصبح الفعل يدافع بعضه بعضا"[٢].هنا تكمن براعة الاحتجاج وحسن اختيار المرسل للأدوات اللغوية التي تخدم خطابه وتزيد من قوته وبالتالي نجاحه لإقناع الطرف الآخر، حتى وإن رفض المتلقي الفكرة فهذا أيضا يدل

[١] المرجع نفسه، ص ٤٥٩.

[٢] المرجع نفسه، ص ٤٥٩.

على نجاح الخطاب سواء بالرفض أم بالقبول. فرفض المتلقي يجعل التفاعل داخل الدورة الخطابية، واقتناعه من الوهلة الأولى يدل على براعة المتكلم في استعمال الخطاب بروابطه الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالحجاج يبقى بارزًا ومهمّا في كلا الأمرين.

**٧_ علاقة التداولية بتحليل الخطاب:**

وبما أنّ تحليل الخطاب يستند على أدوات تداولية، لا بّد من وجود علاقة بينهما فالتداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب يقوم أساسا على مجموعة من النقاط جُملت فيما يلي:3

١. الاهتمام بدراسة السياق بشكله العام أي المقام التواصلي والمعارف المشتركة بين المتخاطبين، ومن المهم في تحليل الخطاب بيان قيمة المقام التواصلي الذي جرى فيه الخطاب وتحليل الأفعال الكلامية الموجودة فيه وصولا إلى الأفعال الكلامية الكليّة التي لها دور أساسي في تحديد جنس الخطاب، كما تدرس بعض الأدوات مثل الإشاريات والمبهمات ومضمرات القول وحضورها في الخطاب مع التركيز على دراسة الملفوظات الحجاجية وتوظيفها في السياقات التواصلية.[١]

٢. النظر في الخطاب أو النص باعتباره تواصلا إنسانيا، وإن كانت التداولية قد اهتمت في أول أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ فإن هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات، فدخلت مفاهيم الوصفية والتحليلية، ونتج عن هذا الاهتمام دراسة أساليب الانسجام الدلالي في العبارات وكيف تكون ذات معنى، أما التداولية فقد تطورت في نظرية الملاءمة وصارت بحوثها تولى بعض الاهتمام بالخطاب والنص، وأما تحليل الخطاب فينظر في ذلك من خلال الانسجام.[٢]

[١] محمود طلحة، مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤، ط١، ص ٣٢

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٢

**الفصل الثاني**

**تمهيد:**

للرّسائل أهميةٌ كبيرةٌ في العملية التواصلية، والرسالة نوع من الكتابة ظهرت بظهورها وتطورت بتطورها، فهي تسهّل التواصل للمتباعدين وقد استعملها العرب لعدّة أغراض منها السياسية والتجارية وغيرها...وهذه الرسائل تنقسم إلى نوعين منها الإخوانية والديوانية وهناك الرسائل المزاوجة التي تنقسم إلى نوعين " مزاوجة فوقية ومزاوجة تحتية"، وسنحاول أن نُحلِّل رسائل سيدنا عمر رضي الله عنه التي أرسلها إلى القضاة والملوك معتمدين في هذا التحليل على أدوات تحليل الخطاب التداولية وهي: " السِّياق ونظرية الملاءمة والأفعال الكلامية والإشاريات والحجاج ".

**١_مفهوم جنس الترسّل وتطوره:**

**١_أ_النثر الفني عند العرب:**

غالبا ما يعرف النثر أنه الشيء المفرق أو المبعثر، يقول صاحب اللسان : " هو النثرُ نَثَرُكَ الشَّيء بيدِك تَرْمي به مُتفَرّقاً مثل: نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا بذر"[١].

من هذا التعريف اللغوي، نجد أن النثر يعني الشيء المبعثر أمّا اصطلاحا:

فهو الكلام غير الموزون يقول شوقي ضيف "... وهو على ضربين، أمّا الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا مثل: الأمثال والحكم،

[١] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مادة (ن،ث،ر)، ص٣٦.

وأما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها مهارة وبلاغة، وهذا الضرب... يتفرع إلى جدولين كبيرين هم الخطابة والكتابة الفنية ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني وهي تشمل القصص المكتوبة كما تشمل الرسائل الأدبية ..." [1]

وبما أن الرسائل شكل من أشكال النثر، فالرسالة هي "فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه المنمقة"[2].

**١_ب_الترسُّل لغة واصطلاحا :**

**لغة**: قبل أن تقف على المعنى الاصطلاحي للترسل لابد من التعرف على المعنى اللغوي لجذر الترسل، فالترسل من كلمة رَسَلَكَ، فالراء والسين واللام (ر، س، ل) جذر يتفرع منه ألفاظ يتبعها معان ودلالات نذكر منها:

رَسَلَ: الرَّسل: القطيع من كل شيء والجمع أرسال والرّسل الإبل، والرّسل قطيع بعد قطيع، وأرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالاً أي قطعاً....

والترسّل والرّسل: الرُفقة والتؤدة، ويقال افعل كذا وكذا على رُسلك، أي اتئد فيه. والمراسل الناقة سهلة السير. والرسول: بمعنى الرسالة. ومعناها في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جاءت الإبل رسُلاً أي متتابعة. ونثر مرسل لا يتقيد بسجع، وترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلاً من غير سجع[3].

وصفوة القول، فإنّ الترسل في معناه اللغوي يدلّ على التمهّل والتؤدة والانسياب في القول والفعل، وهو معنى يعكس طبيعة هذا الفن القائم على حسن التبليغ وجودة التواصل بين المرسِل والمتلقّي. وقد أسهمت الدلالات اللغوية المتعددة للجذر اللغوي «رسل» في توسيع أفق هذا المصطلح، ليتجاوز مجرد الإبلاغ إلى ما

[1] ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ص١٥.

[2] الموسوعة العالمية العربية، حرف الراء، ص٢٠٢.

[3] : ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، مجلد١، مادة (ر، س، ل)، ص٥١.

يحمله من معاني اللين، والتدرّج، والإحكام في الأداء التعبيري، ممّا جعله أساسًا دلاليًا مهمًا لفهم جنس الترسل وخصائصه الفنية والتواصلية.

**اصطلاحا:** يعرّف صاحبا المعجم المفصل في اللغة والأدب مصطلح الترسّل بقولهما: "الترسّل مصطلح تقترن دلالته في الاستعمال بمعنى الترسّل أو المراسلة أو المكاتبة، وهي جميعا تدل على التخاطب بلسان القلم "[١] فمنهم من يقول: " الترسل من المصطلحات الأدبية المولّدة ويراد به كتابة الرسائل".

ومنهم من يعرّفه بأنّه : " فنّ قائم على خطاب يوجهه شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر"[٢] .

ونجد من التعاريف المختصرة: "الرّسالة هي محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين "[٣].

ونجد ( السيد أحمد الهامشي ) يقول في تعريفه: "المكاتبة وتُعرفُ أيضا بالمراسلة، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم"[٤].

والمفهوم من هذه التعاريف أنَّ الرِّسالة مصطلح أدبي يقصد به الخطاب المكتوب بين أشخاص متباعدة. وأنّ كلاّ من المراسلة والمكاتبة والترسل مدلولان لدالٍّ هو جنس الترسُّل.

**١ــ ج ــ نشأة الرسالة وتطورها:**

شهدت الرسالة تطوراً كبيراً منذ نشأتها إلى يومنا هذا ابتداءً من العصر الجاهلي الذي لم تعرف فيه بشكل كبير "ليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها، وليس

[١] إميل يعقوب، عاصي ميشال، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ج١، باب التاء، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ص٣٨١.

[٢] حسين غالب، بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧١م، ص١٨١.

[٣] آمنة الدهري، "الترسل الأدبي بالمغرب"، النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب،ط١، ١٤٢٤هـ، هامش١، ص١٠٣.

[٤] الهامشي السيد أحمد، جواهر الأدي في أدبيات، وإنشاء لغة العرب، ج١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٥٤.

معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة فقد عرفوها، غير أنّ صعوبة وسائلهم جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية"[١].

ومنه نجد أنّ الجاهلين لم يعرفوا التدوين بشكل كبير، هذا ما جعل فن الترسل لم يتطور نظراً للبيئة الفنية حينها.

" إذا فالعرب استخدموها لأغراض سياسية وتجارية، ولكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تُتيح لنا أن نزعم أنّهُ وجِدَ عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية، ومن المؤكد أنّ الكتابة لم تكن حينئذٍ تؤدي بجانب أغراضها السياسية والتجارية أغراضا أدبية أو فنية من تجويد وتحبير، إذْ لم تكن أكثر من كتابة ساذجة أدّت أغراضاً خاصة في عصرنا وانتهت بانتهاء هذا الغرض"[٢].

- وبمجيء الإسلام الذي يعتبر عصر ازدهار فنّ النثر مقارنة بالعصر الجاهلي فأوّل آية نزلت على الرسول صلى الله علي وسلم قوله تعالى: " اقرأ باسم ربّك الذي خلق" سورة العلق، الآية ١، " وبهذا اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم أمته القراءة والكتابة فمن ذلك أنه جعل فداء بعض أسرى قريش في بدر ممن تعلموا الكتابة أنّ يعلّموها عشرة من صبيان المدينة "[٣].

  وبما أن هدف الرسول صلى الله عليه وسلم الأول هو نشر الإسلام، فقد نشطت الرسائل نشاطاً كبيراً وتطورت الكتابة.
- أمّا إذا انتقلنا إلى العصر الأموي فنجد أنّ الكتابة نمت نموًّا واسعاً، ومن مظاهر ازدهاره في هذا العصر أنّ معاوية بن أبي سفيان " أنشأ دواوين هما: ديوان الرسائل وديوان الخاتم، فديوان الرسائل كانت تصدر عنه رسائل تفيض بيانًا .... وديوان الخاتم: مهمته أنّ يُرسل إليه ما يكون للخليفة من توقيع، ليصدر منه مختوما لا يدري حامله ما فيه، ولا يستطيع أنّ يُغيرهُ"[٤].

---

[١] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ص٣٩٨.

[٢] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ف النثر العربي، دار المعارف، ط٧، ص١٩.

[٣] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٩٥.

[٤] سعد أمل داعوق، فن المراسلة عند مي زيادة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٩٥/ ٢٩٦.

- وما إن جاء العصر العباسي عصر الإبداع الأدبي والازدهار العلمي، حتى ازدهرت كتابة الرسائل " التي هي مثار الخيال، ومناط الدهشة، وموضع الأناقة والافتتان، ومنها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن الديوان العالي للدولة بتأييد مذهب أو تمكين سياسته، أو تفضيل فريق عن فريق، كما كان فيما عرف في الأدب العربي باسم رسائل الخميس التي كان يكتبها البلغاء في الدولة (....) وكرسائل الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، وكرسائل الجاحظ وكتبه الأدبية...."[1].

يتبيّن من خلال تتبّع نشأة الترسل أنّ هذا الفن لم يكن وليد مرحلة عابرة، بل نشأ مرتبطًا بحاجات الإنسان التواصلية والإدارية والسياسية، ثم تطوّر بتطوّر الحضارات والدول حتى غدا لونًا أدبيًا قائمًا بذاته، له أساليبه وخصائصه الفنية. وقد أسهمت التحولات الحضارية واتساع شؤون الدولة الإسلامية في ازدهار الرسائل الديوانية خاصة، حيث أصبحت أداة لتنظيم شؤون الحكم وتدبير العلاقات الإدارية والسياسية، الأمر الذي أكسب فن الترسل مكانة بارزة في التراث العربي، وجعله مرآة تعكس بلاغة الخطاب وعمق الثقافة العربية الإسلامية.

**١_د_شروط حسن الترسل:**

وبما أنّ للرسائل أهمية كبيرة في الساحة السياسية لتسيير مصالح الدولة، لا يمكن لأي كاتب أن ينجح في كتابة الرسائل،لاسيما أولئك الذين تطفّلُوا على هذا الجنس، الذين قال فيهم ابن قتيبة " فإنني رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استوطأوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كدّ النظر، وقلوبهم من تعب التفكير، حيث نالوا الدرك بغير سبب، وبلغوا البغية بغير آلة..."[2].

[1] إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي١، الهيئة المديرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، د ط، د ت، ص١٩٣.

[2] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، أدب الكتاب، تح محمد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٨.

فالمقصود بقول ابن قتيبة أنه لا يمكن لأيّ شخص أنه يكتب رسالة مستوفية جميع شروطها، دون أن يجتهد في معرفة شروطها، ونجد أن شروط الرسالة على مستوى الألفاظ والمعاني والشكل، يجمعها ابن الأثير في خمسة هي:[1]

**الأول**: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة، فإنّ الكتاب من أجاد المطلع والمقطع، وأن يكون مبنيا على مقصد الكتاب .

**الثاني**: أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذي يبنى عليه .

**الثالث**: أن يكون الخروج من معنى إلى معنى برابطة، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض .

**الرابع**: أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال وإنّما أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً عربيا، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس.

**الخامس**: أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية .

تعددت أنواع الرسائل في العصر العباسي بتعدد موضوعاتها واختلاف أغراضها. وباعتبارنا لمعيار المرسل والمرسل إليه بمراعاة الطبقة الاجتماعية والسياسية لكل منهما نجد أن الرسائل تُصنفُ إلى ديوانية سلطانية أو ما يطلق عليها بالرسمية إذا كانت متداولة بين الملوك والحكام وإلى إخوانية أو ما يطلق عليها بالشخصية أو الوجدانية الأهلية..

**١ـهـ أنواع الرسائل**:

تعددت أنواع الرسائل في العصر العباسي بتعدد موضوعاتها واختلاف أغراضها، وسنذكر فيما يلي أنواع الرسائل باعتبار المرسل والمرسل إليه:

[1] ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح الشيخ كامل محمد، ومحمد عرضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٨م، ص٨٠/٨٢.

**١ـ هـ ـ أ ـ الرسائل الإخوانية:** ينطبق هذا الاسم على جميع الرسائل التي يكتبها الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية كالتهنئة والتعزية والعتاب وغير ذلك من أمور الحياة "فهي تلك الرسائل الشخصية التي كانت تحبر بعيدة عن الديوان إلى أحد الإخوان في أمور خاصة لا تتعلق بشؤون الملك، ولا بسياسة الدولة كالتهنئة وغيرها (...) مما يصور العواطف الخاصة..."[١]

وقد تعددت أنواع الرسائل الإخوانية حيث أوصلها القلقشندي إلى سبعة عشر نوعاً هي: "التهاني والتعازي والتهادي والشفاعات والشوق والاستزارة، واختطاب المودة، وخطبة النساء، والاستعطاف، والاعتذار، والشكوى، واستماحة الحوائج، والشكر والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، والمداعبة"[٢] .

**١ـ هـ ـ ب ـ الرسائل الديوانية:** وقد عني بها الرسائل الخاصة بشؤون الدولة وسميت كذلك بالرسائل الرسمية أو السلطانية .

"وقد خصّ المسلمون الرسائل الرسمية بديوان سموه ديوان الرسائل"[٣]، فسميت بالديوانية نسبة إليه، وقد قسموا الكتابة الرسمية إلى قسمين ، كتابة الرسائل وكتابة الأموال لتختص كل واحدة منهما بمهمات محددة من مهام الدولة وأعمالها، وعدّوا كتابة الرّسائل والإنشاء أفضل مراتب الكتابة وهي بمنزلة سلطانها، وإنسان عينها [٤] .

"وهي الصادرة عن ديوان الخليفة، والأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانا مُنْذِرًا متوعدًا (...) وتتنوع هذه الرسائل، فهي التي تشمل: الرسائل التي تصدر مشتملة على تولية

---

[١] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ورواية تحليل نقدية لتطور الأساليب، مكتبة الطالب الجامعي، ط٢، ١٩٨٦م، ص٩٩.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م، ص٥.

[٣] عبد الحليم حسين الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٤٠.

[٤] ينظر: المرجع نفسه، ص٣٩.

العهد و تولية القضاة والولاة وما يتصل بأمور الرعية، كما أنها تشمل أيضا الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة أو التعزية، أو المعاتبة أو ما شابه ذلك"[1] .

ولا يرقى لكتابة هذا النوع من الرسائل إلا كبار الأدباء الذين تتوفر فيهم شروط خاصة حيث يقول ضياء الدين بن الأثير : "... يجب أن يختار لهذه الصناعة ذو العقل الوافر، والهيكل العامر، الحسن الخلق، الطيب الأعراق، الصادق في المقال المحقق في الأفعال والفعال، ميت الأسرار، حي الأفكار حليته حلية الأحرار، صدره قبر لما يستودع فيه، حسن في لغته ومعانيه، محقق فيما يقوله ويرويه، طبعه نسيان مجالس كتابته، لا يفشيها في حال غيبته، لسان قلمه فصيح، وأوضح من الشمس للعيان، حسن الخلوة، لبق الجلوة إن سئل أجاب، وإن سأل أطاب، إن نطق أصاب، يكون جلّ كلامه جواباً، ولا يكون مهذارا كثير القلق، لا يدخل فيما لا يعنيه، ولا يعاني ما لا يعانيه، عارف بقواعد الكتابة، عالمٌ بطريق الإصابة" [2].

فالرسائل الديوانية من أسمى وأرقى الفنون النثرية، ونجد أن هذا النوع من الرسائل قد نشط نشاطا واسعا في العصر العباسي، كما تهدف هذه الرسائل إلى نشر الحقائق بأسلوب واضح بعيد عن الزخرفة.

و لخّصت الأستاذة خيرة عمامرة أنواع الرسائل باعتبار المرسل والمرسل إليه في المخطط التالي:[3]

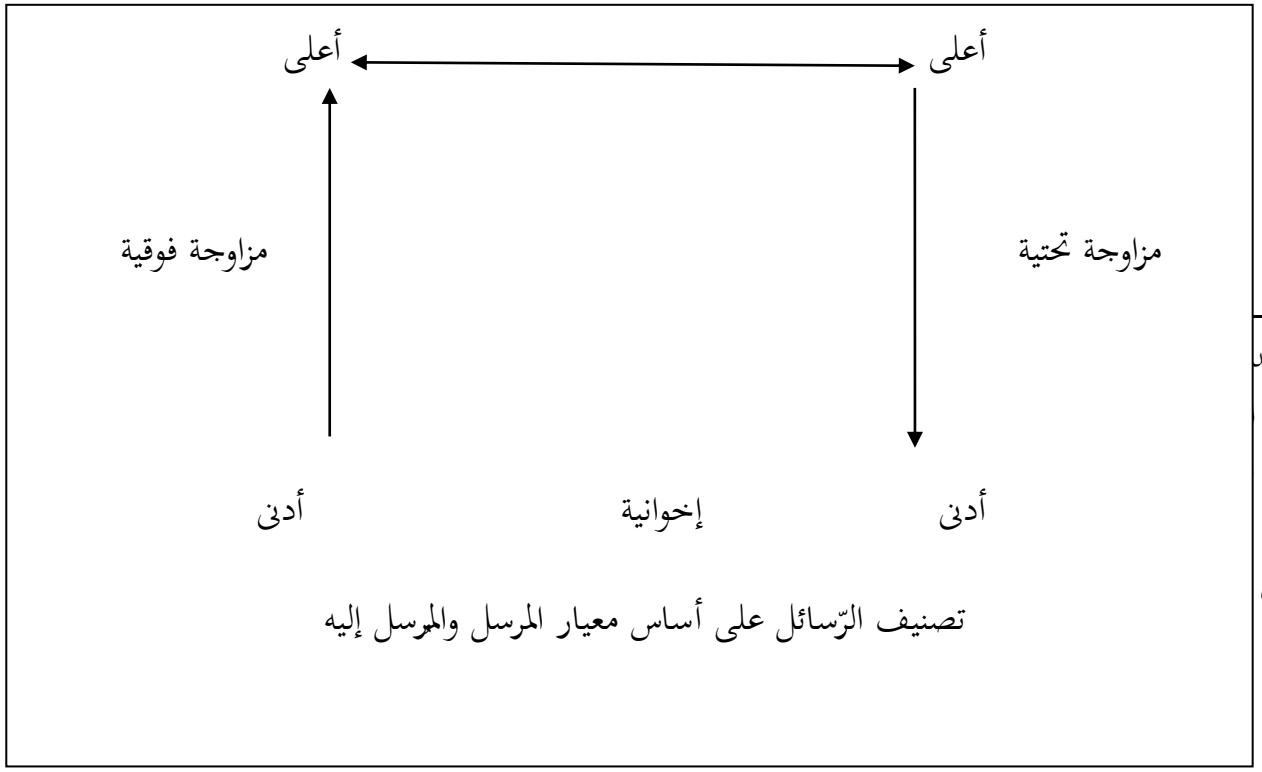


تصنيف الرّسائل على أساس معيار المرسل والمرسل إليه

[1] عبد
[2] ابن
مصر،
[3] خيرة
ثليجي

أما موضوعات الرسائل الديوانية فقد عددها عبد الحليم حسين الهروط وهي: " التهاني، الفتوحات، رسائل الشكر على الهدايا، المعاهدات وتوكيدها، الاستنجاد، التعازي ، الرسائل النبوية، مخاطبة الرعية في موضوعات مختلفة، ..."[1].

**١ـ هـ ـ ج ـ الرسائل المزاوجة:**

المزاوجة مصطلحٌ اقترحه الدكتور جبران محمد مسعود لتلك الرسائل التي لا يمكن أن نصنّفها ضمن الرسائل الديوانية، ولا الرسائل الإخوانية، بل تمتزج فيها خصائص النوعين معا. أمّا تصنيف النقاد قديما وحديثا لهذا النوع ضمن الرسائل الديوانية أو الإخوانية، فهو غير صائب لتباين منزلة المرسل والمرسل إليه فيها. وهي تنقسم إلى رسائل مزاوجة **فوقية** إذا كانت صادرة من رئيس إلى مرؤوس ( أعلى أدنى ) ورسائل مزاوجة **تحتية** إذا كانت من المرؤوس إلى الرئيس ( أدنى أعلى ).[2]

- **المزاوجة الفوقية :**

تشمل الرسائل التي بعث بها الحكام والقضاة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن أمثلة هذه الرسائل ما كتبه سعد بن أبي وقّاص بصفة البلد، عندما طلب منه سيدنا عمر رضي الله عنه أن يصف له منازل المسلمين، والتي جاء فيها ما يلي :"**إنَّ القَادسيّة بينَ الخَنْدَق والعَتِيق، وإنَّ ما**

[1] عبد الحليم حسين الهروط، الرسائل الديوانية، ص من ٨٣ إلى ١٤٩.

[2] ينظر : المرجع السابق،خيرة عمامرة، رسائل لسان الدين بن الخطيب في كتابه " ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"،ص٤٧.

**عنْ يَسَارِ القَادسيّة بحرٌ أخضرٌ في جوفٍ لَاحَ إِلَى الحِيرَة بَيْن طريقين، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَهرِ وأَمَّا الآخر فعَلَى شَاطِئ نهرٍ يُدْعَى: الحُضُوض، يطلع بمن سَلَكه علَى مَا بَيْنَ الخَرَوْنَقِ والحيرة، وإنَّ مَا عَنْ يمينِ القَادسيّة إِلَى الوَلْجَةِ فَيْضٌ من فيوضِ ميَاهِهم، وإنّ جميعَ من صَالحَ المُسْلِمينَ مِن أَهل السَّواد قبلي أَلْبٌ لِأهل فارس قد خفوا لهم، واستعدُّوا لنا، وإنّ الذي أعدوا لمصادمتنا " رستم" في أمثالٍ لهُم منْهم، فهم يحاولون إنْغَاضَنا وإقْحَامَنا، ونحنُ نُحَاول إنغَاضهم وإبرازهم، وأمر الله بعدُ ماضٍ، وقضاؤه مسلّم إلى ما قُدِّر لنا وعلينا، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية."**[1] فهذا جواب من القاضي سعد بن أبي وقّاص إلى سيدنا عمر رضي الله عنه.

- **المزاوجة التحتية :**

يندرج ضمن هذا الصنف الرسائل التي تبادلها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سعد بن أبي وقّاص، فمثلا رسالته التواصلية التي جاءت ردّا على الرسالة سالفة الذكر التي جاء فيها :"**قَدْ جَاءَنِي كِتَابك وفهِمْتُه، فأقم بمكانك حتّى ينغض الله لك عدُوَّك، واعْلَم أنَّ لها ما بعدها فإن منحك الله أدبارهم، فلا تَنْزَع عنهم حتّى تَقتَحم عليهم المَدائن، فإنَّه خرابها إن شَاءَ الله .– وجعل عمر يدعو لسعد خاصة، ويدعون له معه وللمسلمين عامّة – "** [2]

ومنه نستنتج أنّ الرسائل ثلاثة أنواع ( رسائل ديوانية، ورسائل إخوانية، والرسائل المزاوجة التي يندرج تحتها رسائل مزاوجة تحتية ورسائل مزاوجة فوقية).

والفرق بين الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية التي كانت من أهم الرسائل المتداولة، وقد تنوعت موضوعاتها وأعلامها يكمن في :

١. أن كاتب الرسالة الإخوانية حرٌ فيما يكتبه فلا ينتقي الألفاظ مثلما هو الحال عند كاتب الرسالة الديوانية.

[1] محمد رضا، الفاروق عمر بن الخطاب،ط١، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان،٢٠٠٥م، ص١٤٨.

[2] محمد رضا، المرجع نفسه،ص ١٤٩.

٢. أنّ مواضيع الرسالة الديوانية لا تخرج عن إطار الحكم وما تعلق به من عهود الخلفاء وأخبار الولايات ... أمّا الإخوانية فهي بعيدة كل البعد عن الديوان وأغراضها متنوعة كما ذكرنا سالفا .

**٢_ التحليل التداولي للرسائل الديوانية لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه:

وبعد عرضنا لمفاهيم وإجراءات التحليل التداولي في الفصل النظري، ولمفهوم جنس الترسّل والرسائل الديوانية خاصة، سنتناول تحليل رسائل عمر بن الخطاب من هذا الجانب :

**٢_أ_ملاءمة بنية رسائل سيدنا عمر رضي الله عنه للسياق:**

نجد أنّ عبارات رسائل سيدنا عمر رضي الله عنه ملائمة للسياق في المستويات الثلاثة ( المستوى النصي، ملاءمة جنس الخطاب، ملاءمة معايير التأدّب)، فمثلا رسالته إلى سعد بن أبي الوقّاص التي جاء فيها ما يلي:

" ...**أَمَّا بَعد: فَتَعَاهَد قَلبَك وَحادِث جُندَك بالموعظة والنِيَّة وَالحُسبَة وَمَن غَفَل فَليُحدثها، والصبرَ الصبرَ، فإنّ المَعُونَة تَأتي مِنَ الله عَلَى قَدْرِ النِيَّة وَالأَجرَ عَلَى قَدر الحُسبَة، وَالحَذَرَ الحَذَرَ عَلَى مَن أَنتَ عَلَيه، وَمَا أَنتَ بِسَبيلِه وَاسأَلُوا اللهَ العَافِية، وَأَكثِرُوا مِن قَوْلِ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله، وَاكتُب إِلَيَّ أَينَ بَلَغَكَ جَمعُهُم، وَمن رَأسهم الذِي يَلي مُصَادَمَتكم، فَإِنَّهُ قَد مَنَعَني مِن بَعضِ مَا أَرَدت الكتاب بِه قِلَّةُ عِلمِي بِمَا هَجمتُم عَلَيه، وَالذِي اسْتَقَرَّ عَلَيه أَمرُ عَدُوِّكُم، فَصِفْ لَنَا مَنَازِلَ المُسلِمِين وَالبَلَدَ الذِي بَينَكُم وَبَينَ المَدَائِن صِفَةً كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَيهَا، وَاجْعَلنِي مِن أَمْرِكم عَلَى الجَلِيَّة، وَخَفِ اللهَ وَارجُه، وَلَا تُدلِ بشيء، واعْلَم أَنَّ اللهَ قَد وَعَدَكُم، وَتوَكَّل لِهَذَا الأَمر بِمَا لَا خَلفَ لَه، فَاحذَر أن تَصرِفَه عَنك يَسْتَبدِل بِكُم غَيرَكُم**"[١] .وفي هذه الرسالة الديوانية نلاحظ ما يلي:

[١] محمد رضا، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، ط١٤٢٦،١هـ/ ٢٠٠٥م، بيروت، لبنان، ص ١٤٨

- ✓ أنّ ألفاظ سيدنا عمر رضي الله عنه وعباراته تتعلّق بعضها ببعض في نسق واحد، وهذا ما جاء في المستوى الأوّل من مستويات نظرية الملاءمة (المستوى النصي).
- ✓ أنّه راعى أجزاء القول في خطابه لإفهام مُتلقّيه سعد بن أبي الوقّاص، فبداية الرسالة ملاءمة لغرض النصح والإرشاد فكلامه جاء على صيغ الأمر والتحذير، وختامها جاء فيها طلبه وصف منازل المسلمين.أي مراعيا للمستوى الثاني من مستويات نظرية الملاءمة (ملاءمة جنس الخطاب).
- ✓ أنّه خاطب سعد بن أبي وقّاص بالألفاظ التي تُلائمه، فهو كلام من ملك إلى ملك ولابد من مراعاة الألفاظ الملائمة. هذا ما جاء في المستوى الثالث من مستويات نظرية الملاءمة (ملاءمة معايير التأدب).

**٢_ب_ بناء الرسائل الديوانية لعمر رضي الله عنه:**

إنّ الملاحظ المتمعن لرسائل عمر رضي الله عنه إلى الولاة يدرك أنّ من المواطن الجديرة بالدراسة فيها البنى الهيكلية الخارجية." فكلّ كيان لغوي يستوجب أن يتكوّن من مقدّمة وجوهر وخاتمة، وأنّ النص الذي لا يختتم يفقد الكثير من فصاحته واتّساقه، ولا يستطيع قارئه أن يدرك بوضوح غايته ".[١] ولأهمية كل من المقدمة وعرض الرسالة وخاتمتها فإننا سنتتبع الخطوات التي بُنيت على أساسها رسائل عمر رضي الله عنه إلى ولاته وقضاته .

**_ مقدّمات الرسائل الديوانية ( العمرية)**: نجد بأنّ جُلّ رسائل عمر رضي الله عنه السلطانية ذكر في مطلعها البعدية مباشرة ( **أمّا بعد**) فوراء هذه اللفظة خطاب آخر يفهم من خلال السياق الداخلي والخارجي للرسالة وكأنّه قال: ( وبعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد والدعاء لمقامكم الأسمى على القضاء العادل

[١] الصبيحي محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٨٤

أثناء حكمهم – مثلا– وغيرها ممّا يُستهل به في كتابة الرسائل الديوانية)[1]. وفيما يلي تحليل لما جاء في مقدّمات رسائله:

- كتب كتابا في القضاء إلى شُريح جاء في مطلعه:" **أَمَّا بعد: إذا جاءَكَ شيء فِي كِتاب الله فاقْضِ بِه ولا يلفتنَّك عنه الرجَالُ ...**"[2]
- وكتب كتاباً في القضاء أيضاً إلى أبي موسى الأشعري :" **أمّا بعد: فإنّ القضاء فريضةٌ مُحكمة، وسُنّة متّبعة، فافهم إذا أدْليَ إليك، فإنّه لا ينفع تكلُّمٌ بحقّ لا نفاذ له.** ..."[3].
- وأوصى أبا موسى الأشعري في كتاب له قائلا في مطلع الرسالة:" **أمّا بعد: فإنّ للناس نفرة عند سلطانهم، فأعوذُ بالله أن تدركني وإيّاك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متّبعة ودنيا مؤثّرة، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار،...**"[4].
- وفي مراسلاته لسعد بن أبي وقّاص جاء في بدايتها: " **أمّا بعد: فَسِرْ من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، وتوكّل على الله، واسْتَعِن بِه عَلَى أَمْرِكَ كُلِّه، وَاعْلَم فِيمَا مَضَى أَنَّك تقدم عَلَى أُمَّةٍ عَدَدُهُم كَثير، وَعدّتهم فَاضِلَة و...** "، وكتب له : " **أَمَّا بَعد: فَتَعَاهَد قَلبَك وَحَادث جُندَك بِالمَوعِظَة وَالنِيَّة وَالحسبَة وَ مَنْ غَفَل فَليحدثها ...**"[5].

فجميع هذه الرسائل استهلها سيدنا عمر بلفظة ( **أمّا بعد**) وبعدها مباشرة يشرع في كتابة الرسالة بصيغ الأمر ( اقض، فافهم، فسر، وتوكّل على الله، واعلم ، فتعاهد، وحادث جندك ...) التي غرضها النصح والإرشاد إلى الولاة الذين أرسل إليهم خاصة، وإلى الولاة بعدهم عامة، فهذه الرسائل مازالت محلا للدراسة من قبل الباحثين والدارسين، والعمل بها من قبل القضاة إلى يومنا

[1] محمد رضا، المرجع نفسه، ص ٧٨ /١٤٦/٧٩/ ١٤٧.

[2] المرجع نفسه،ص٧٨.

[3] المرجع نفسه، ص ٧٩.

[4] المرجع نفسه، ص ٧٩.

[5] نفسه، ص ١٤٦.

هذا. فغرضه الأسمى من ورائها هو أن يُحقق العدل ويتمتع الوالي بأنزه الصفات التي تجعله قاضيا عادلا، ومحاربا للظلم في جميع الأقطار.

٢– **جوهر الرسالة العمرية:** بما أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حريصا على أن ينال كلّ ذي حقّ حقّه، فقد كتب هذه الرسائل التي جاء في جوهرها نصائح وإرشادات إلى ولاته وقضاته – وهو على علم بنزاهتهم _ أراد فيها أن يُذكّرهم بأنّ العدل أساس الحكم فأعطاهم بعض الإرشادات التي تُعينهم على القضاء.

- وقد تجلّى في هذه الرسائل أسلوب النثر الفني في العصر الإسلامي من الإيجاز والوضوح والدقّة لأهمية الموضوع الذي يتحدثُ فيه، والبُعد عن الزخرفة اللفظية والصور البيانية التي قد تُبعد الموضوع عن الفهم.

٣_ **خاتمة الرسائل العمرية:** الصيغ التي جاءت عليها الخاتمة في الرسائل الديوانية تتراوح بين نمطين:

- الدعاء والسّلام المجردين من التاريخ.
- الدعاء والسّلام مع تاريخ الخطاب بالنص أو الإشارة بقوله (كُتب في كذا) ولا يذكر التاريخ.

أمّا رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فغالباً ما كان يختتمها بنصيحة بصيغة الأمر أو الشرط ثمّ السلام. فمثلا نجد في خاتمة رسائله ما يلي :

_خاتمة رسالته إلى أبي موسى الأشعري قوله : "**فَإِنَّهُ مَن يُخلِص نِيَّتَه فِيمَا بَينَه وَ بَينَ الله تَبَارَك وَتَعَالى ولَوْ عَلَى نَفْسِه يَكْفِهِ الله مَا بَينَه وَبَينَ النَّاس، وَمَن تَزَيَّنَ للنَّاس بِمَا يَعلَمُ الله خِلَافَه مِنهُ هَتَكَ الله سِترَه، وَأَبدَى فِعلَه وَالسَّلَام.**"[١]

فهذه الرسالة قد خُتمت بأسلوبي شرط، الأوّل يتضمن أمراً بالإخلاص، والثاني يتضمّن نهياً عن النفاق .

[١] المرجع نفسه، الفاروق عمر بن الخطاب، ص٧٩.

ـ وجاء في ختام وصيته إلى أبي موسى الأشعري ما يلي : "**واعْلم أنَّ للعامل مردّاً إلى الله، فإذا زاغ العاملُ زاغت رعيّته، وإنَّ أشقى النّاس منْ شَقِيت به رعيّته والسّلام**"[1] .

فهذه الوصية خُتمت بأسلوب الأمر، وأسلوب الشرط الذي يتضمّن أمراً بحسن العمل وإتقانه، ثمّ التأكيد على مصير من لا يخلص النية في عمله .

ـ وجاء في خاتمة رسالته إلى شُريح قوله : " **إنْ شِئت أنْ تجتهدْ رأيك وتقدِّم فتقدَّم، وإنْ شئت أنْ تُؤخّر فتأخّر، ولا أرى التأخيرَ إلّا خيراً لك**".[2]

ختم هذه الرسالة بأسلوب شرط ليس على وجه الإلزام لقوله ( إن شئت)، حيث خيّره بين التقديم والتأخير، وكان أميل إلى التأخير لأنّ فيه خيراً للحاكم.

ـ وفي خاتمة رسالته إلى سعد بن أبي وقّاص جاء قوله: " **فإنْ أنتم صَبرتمْ لعَدُوّكم، واحتَسَبتُم لقتاله، ونويتمْ الأمانة، وليسَ معهم قُلوبهم، وإن تَكُن الأخرى كانَ الحجرُ في أدباركم، فانصرفتُم من أدنىَ مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثمّ كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانُوا عنْها أجْبن وبها أجهل، حتّى يأتي الله بالفتح عليهم، ويرد لكم الكرة**"[3].

**٣ـ تحليل رسالة عمر "رضي الله عنه " إلى أبي موسى الأشعري ":**

**ـ نص الرّسالة :" ...فإنّ القضاء فريضة مُحكمة، وسُنّة متّبعة، فافْهم إذَا أُدلي إليك، فإنّهُ لا ينفَعُ تكلّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ لهُ. آسِ بين النّاس في وجهك ومجلسك وعدلكَ، حتّى لا يطمعَ شَريفٌ في حيْفك ولا ييأسْ ضعيفٌ في جورك، البيّنة على منِ ادّعى، واليمينُ على من أنْكر، والصُلحُ جائزٌ بينَ المُسلمين إلّا صُلحاً حرّمَ حلالاً وأحلَّ حراماً، ولا يمنعنّك قضاء قضيتهُ بالأمس، راجعتَ فيه نفسكَ وهُديتَ فيه لرُشْدكَ، أنْ تُراجعَ الحق، فإنَّ الحقَّ قديم، ومُراجعة**

[1] المرجع نفسه، ص ٧٠.

[2] المرجع نفسه، ص٧٨.

[3] المرجع نفسه ، ص ١٤٧.

**الحقِّ خيرٌ منَ التَّمادي في الباطل. الفَهْمَ الفَهْمَ عندَما يتلَجْلَجُ في صدْركَ مما لم يبْلُغَكَ في كتابِ اللهِ وَلَا في سُنّة النّبي صلى اللهُ عليهِ وسلّم، اعْرفِ الأمثال والأشباه وقِسِ الأمُورَ على ذلك ثُمَّ اعمدْ إلى أحبِّها إلى الله، وأشْبهها بالحقِّ فيما تَرَى. واجْعلْ للمُدّعي حقَّ الغائبِ أو بيّنة أمَداً ينتهي إليهِ، فإن أحضَرَ بيّنة أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإلّا وَجَّهْتَ إلَيهِ القضاء فإنَّ ذلكَ أَنْفى للشكّ وأجْلى للعمَى، وأَبْلغَ في العُذر. المُسْلمون عُدولٌ، بعْضُهُم على بعض إلّا مَجْلوداً في حدٍّ، أوْ مُجرَّباً في شهادةِ زور أو ظَنيناً في ولاء أو قرابة. إنَّ اللهَ تولَّى منكم السّرائر، ودَرَأَ عنكُم الشّبُهات. ثُمَّ إيّاكَ والقلق والضَجَر، والتأذي بالنّاس، والتنكُّر للخصومِ في مواطن الحقِّ التي يُوجِبُ اللهُ بها الأجر ويُحْسِنُ بهاَ الذُخر، فإنّهُ منْ يُخْلص نيّتَهُ فيمَا بيْنهُ و بينَ الله تباركَ وتعالى ولوْ على نَفْسِهِ يَكْفِهِ اللهُ ما بيْنَهُ وبينَ النّاس، ومَنْ تزيّن للنَّاس بمَا يَعْلَمُ اللهُ منْهُ خلافَ ذلك هَتَكَ اللهُ سترهُ وأبْدى فعلَهُ. والسّلامُ عليكم" .**

ـ وفيما يلي التحليل التداولي لهذه الرسالة :

**٣ـ١ـ الأفعال الكلامية في الرسالة:**

سنحلل هذه الرسالة معتمدين في ذلك تقسيم سيرل للأفعال الكلامية:

| العبارة | الفعل المباشر | شرح لمكوّنات الفعل الكلامي |
|---|---|---|
| **القضاء فريضة مُحكمة وسُنَّة متبعة.** | تقرير<br>وغرضه<br>الإنجازي الوعظ<br>والتذكير<br>(**التأكيدات** ) | الإخبار بأنّ الأحكام التي يقضي بها الحاكم نوعان: أحكام فرضها الله، وعليه فلا يجُوزُ للقاضي أن يقضي بخلافها، وأحكام سنّها النبي صلى الله عليه وسلّم وعلى القاضي الالتزام بها. |

| | | |
|---|---|---|
| **فافهم إذا أُدلي إليك، فإنّه لا ينفع تكلُّمٌ بحقّ لا نفاذ لهُ.** | أمرٌ (الأمريات) وتوكيد غرضه التعليل | النُصح و الحث على الفهم الصحيح و الحث على تنفيذ الحق إذا افهمه القاضي، إذ لم يكن لَهُ قوّة تنفيذية فهو تحريض منه على العلم بالحق و القوة على تنفيذه. |
| **آس بين النّاس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتّى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف في جورك** | أمرٌ **( الأمريات)** | الإرشاد و الحث على التسوية بين المتخاصمين، فلا فضل لأحدٍ على أحدٍ أمام القضاء، و كلّ واحد له الحق في أن يُدلي بحجته، حتّى يتبين لمن الحق.<br>حتى لا تسقط منه صفة الإمام العادل و قوّته ، فيصبح محل الطمع من الشرفاء ، و محل اليأس من الضعفاء. |
| **البّينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائزٌ بين المسلمين إلاّ صلحاً حرّم حلالاً وأحلّ حراماً.** | تقرير و إخبار **( التأكيدات)** | الطلب من كل من يحكم بين اثنين، أن يعلم ما يقع ثمّ يحكم فيه بمَا يجب، فالأوّل مدارهُ الصدقُ و الثاني مدارهُ العدل. الحث على الصلح بين البشر، فالصلح العادل هو الذي أمر به رسول الله لقوله تعالى: {فأصلحوا بينهما بالعدل} الحجرات٩. |
| **ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس،** | نفي | الائتناس بأنّ الاجتهاد قد يعتبر ولا يكون الاجتهاد الأوّل مانعاً من العمل بالثاني، إذا ظهر أنّه الحق، فإنّ |

| | | |
|---|---|---|
| **راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لِرُشدك، أن تراجع الحق، فإنّ الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.** | وتوكيد ( **التأكيدات**) | الحق أولى بالإيثار، لأنّه قديم سابق على الباطل ، و أنّ الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل. |
| **الفَهمَ الفَهمَ عِندَمَا يَتَلَجْلَج في صَدرِك، مِمَّا لَم يَبْلُغَك فِي كِتاب الله وَلَا في سُنّة النَبيّ صَلَى الله عليه وسلّم، اعرِف الأَمثَالَ وَالأَشْبَاه وَقِس الأُمُور عَلَى ذَلك ثمّ اعمد إلى أحبِّها إلى الله، وأَشْبَهها بالحقّ فِيمَا تَرَى.** | أمر من خلال أسلوب الإغراء المتضمن لأسلوب أمر حُذف منه الفعل ( الزم ) في العبارة الأولى(الفهم الفهم) ثم( **الأمريات**) من خلال الفعلين الظاهرين (اعرف، قس). | الحث على الفهم الصحيح للقضية ،فسيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أراد من أبي موسى الأشعري خاصة و القضاء عامة، أن يستخدموا القياس في الحالات المستجدة و يقيس على أمثالها من الحالات التي مرّت عليه عندما تشترك في نفس العلّة . حتّى يتم حكمه بكلمة الحقّ التي أمر بها الله في كتابه و رسوله في السُنّة ، و المجتهدون في أقوالهم و حكمهم. |

| | | |
|---|---|---|
| **واجْعَل لِلْمدَّعي حَقَّ الغَائِبِ أَو بيّنة أَمَدًا يَنتَهي إِليه، فَإن أَحْضَر بيّنتهُ أَخَذْتَ لَه بحقِّه وإِلاَّ وَجَّهتَ إليه القضاء فَإنّ ذَلك أَنفَى للشَك وأَجْلَى لِلْعمى، وأَبْلَغَ في العُذرِ.** | أمر وتوكيد **( الأمريات)** | نصح وإرشاد، فعمر رضي الله عنه ينهى الحكام عن الحكم السريع ويرشدهم بأن يمنح القاضي الوقت اللازم للمدعي حتى تكون بيّنته حاضرة . |
| **المُسْلِمُونَ عُدُولٌ، بَعضُهُم عَلى بَعض إلَّا مَجْلُودًا في حدٍّ، أو مُجَرَّباً فِي شَهَادَةِ زُور، أَوْ ظنيناً فِي وَلَاء أَو قَرَابَة.** | وصفٌ وتقرير **(التأكيدات)** | وصف للمسلمين بأنهم أمّةٌ وسط و حثّ القاضي بأن لا يأخذ بمن جُرِّبَ عليه شهادة زور ،ولا يوثق بعد ذلك بشهادته، أو قام المجلود في حّدٍ من حدود الله، لأنّ الله نهى عن قبول شهادة المحدود. |
| **إنَّ اللهَ تولّى منكم السَرَائر، وَدَرَأ عَنكُم الشُبُهَات.** | تقرير. **( التأكيدات)** | التأكيد على أنّ من ظهرت منه علانية خير قبلنا شهادته و وكّلنا سريرته إلى الله، فإنّ الله لم يجعل أحكام الدنيا على السرائر، بل على الظواهر، و السرائر تبع لها، و أمّا أحكام الآخرة ، فعلى السرائر، و الظواهر تبع لها. |
| **ثُمّ إيّاكَ والقَلَق والضَجَر، والتَأَذّي بالنّاس، والتَنَكُّر** | أمر من خلال أسلوب التحذير،فالفعل | الكراهة من القلق و الغضب أثناء الحكم و مواطن الحق. و اجتناب التنكّر للخصوم في المواطن التي |

| | | |
|---|---|---|
| **لِلْخُصوم فِي مَوَاطِن الحَقّ التِي يُوجِبُ اللهُ بِها الأجر ويُحسِنُ بها الذُخر.** | المحذوف المقدر هو (احذر أو تجنّب) **( الأمريات)** | يوجب الله بها الأجر و يحسن بها الذخر. |
| **فَإِنَّه من يخلص نيَّتهُ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ الله تَبارَكَ وتعالَى وَلَوْ عَلى نَفسِه يَكفِه الله ما بَيْنه وَبَينَ النَّاس، وَمَن تَزيَّن لِلنَّاس بِمَا يَعلَمُ اللهُ مِنهُ خِلافَ ذلك هَتكَ اللهُ سِتره وَأبدى فعله. والسلام عليكم .** | تقرير من خلال الشرط **( التأكيدات)** | النصح والإرشاد في إخلاص البيّنة للخالق ثم للناس وبيان جزاء لمن عكس ذلك . |

**٣_ب_ الملفوظية**: هي عملية إنتاج الملفوظ، ونجد أنّ رسالة عمر رضي الله عنه تميّزت بخصائص الملفوظية الثلاث:

- أدّت الخبرة الإنسانية في مجال الحكم والقضاء من خلال ⟵ بروز المتكلّم " أنا" عمر رضي الله عنه فهو يتكلّم عن خبرة واسعة فهو أوّل قاض في الإسلام .
- جاءت ألفاظ الرّسالة وفق ما يُريده المتكلّم " أبو موسى الأشعري ".
- جاءت نتيجتها وفق ما يقتضيه السياق .

ويمكننا تمثيل نشاط التلفّظ في المخطط الآتي:

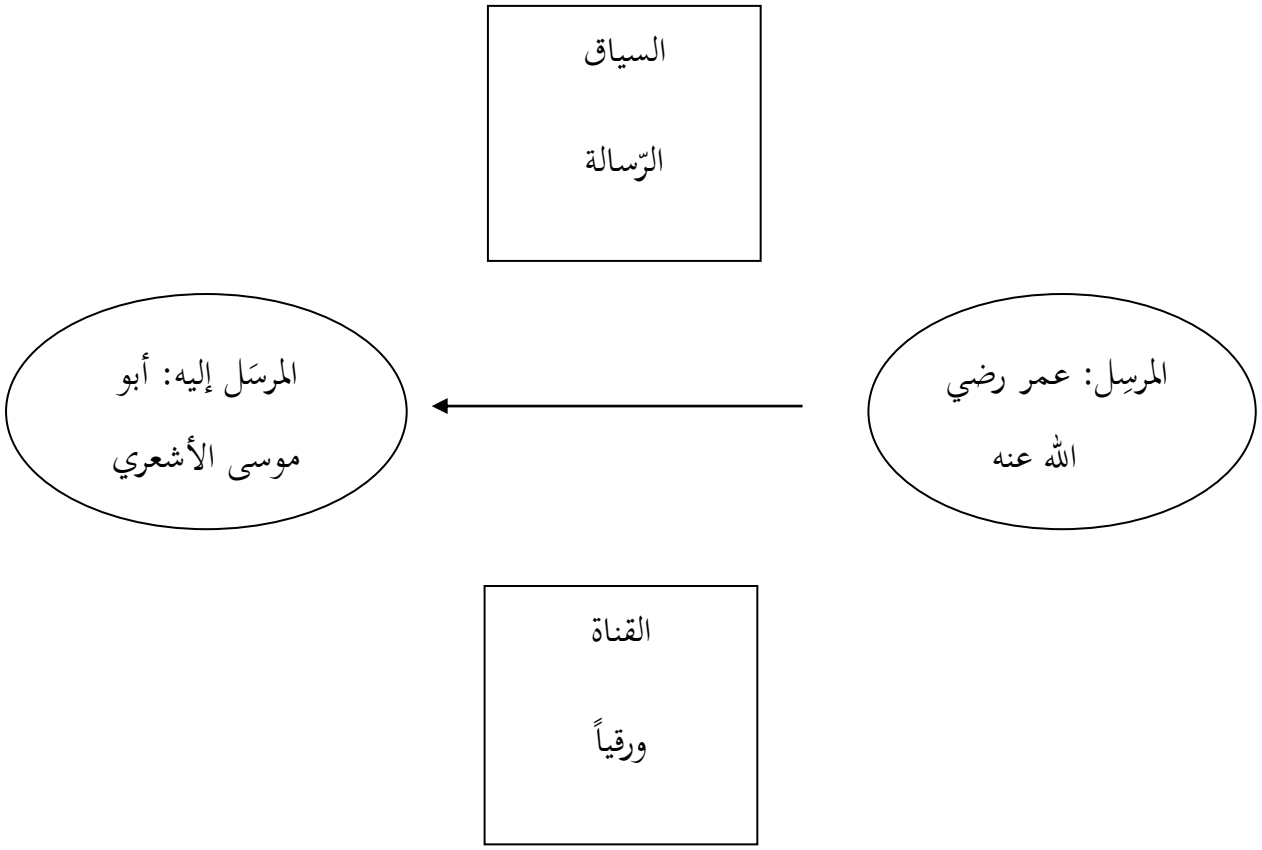


**٣ـ ج ـ الإشاريات في الرّسالة:** بما أنّه لا يتم أيّ تلفظ بالخطاب دون حضور الأدوات الثلاث : ( الأنا والهنا والآن )التي يُمثّل كل منها نوعاً من الإشاريات، فرسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري حافلة بالإشاريات ( الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية ) .

**أ ـ الإشاريات الشّخصية :**

| الملفوظ | الإشاريات الشّخصية | البُعد الإشاري للملفوظ |
|---|---|---|
| **إنّ القضاء فريضةٌ مُحكمة وسُنّةٌ** | أنا ← عمر بن الخطاب رضي الله عنه. | أنا ( عمر رضي الله عنه) أقول لك أنت (أبو موسى الأشعري)، |

| | | |
|---|---|---|
| **مُتّبعة.** | أنت ⟵ أبو موسى الأشعري. | القضاء فريضة مُحكمة، وسُنّة مُتّبعة. |
| **فافْهم إذا أُدلي إليك** | أنا ⟵ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ أبو موسى الأشعري . | أنا (سيدنا عمر رضي الله عنه ) آمرك أنت (أبو موسى الأشعري) أن تفهم القضاء إذا أُدلي إليك. |
| **آس بين النّاس في مجلسك و وجهك حتّى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا يخاف ضعيفٌ من جورك.** | أنا ⟵ عمر رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ أبو موسى الأشعري.<br>هو ⟵ الشّريف والضعيف. | أنا (عمر رضي الله عنه) آمرك أنت (أبو موسى الأشعري) أن تُسوي بين النّاس حتّى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا يخاف ضعيفٌ من جورك. |
| **الفهمَ الفهمَ عندما يتلجلجُ في صدرك ممّا لم يبلغك في كتاب الله، ولا سُنّة النبي صلى الله عليه وسلّم.** | أنا ⟵ سيدنا عمر رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ أبو موسى الأشعري. | أنا ( سيدنا عمر رضي الله عنه) آمُرك أنت ( أبو موسى الأشعري) أن تلتزم الفهم عندما يتلجلج في صدرك ممّا لم يبلغك في كتاب الله، ولا في سُنّة النبي صلى الله عليه وسلّم. |

| | | |
|---|---|---|
| **فإنّه من يُخلص نيّته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين النّاس.** | أنا ⟵ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ أبو موسى الأشعري .<br>هو ⟵ القاضي العادل صاحب النيّة المخلصة في عمله. | أنا ( سيدنا عمر رضي الله عنه) أُذكّرك أنت ( أبو موسى الأشعري) أنّ القاضي العادل الذي يُخلص نيّته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس. |
| **ومن تزيّن للنّاس بما يعلم الله خلافه منه، هتك الله ستره وأبدى فعله والسّلام.** | أنا ⟵ عمر رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ أبو موسى الأشعري<br>هو ⟵ القاضي الّذي يتزين للناس بما يعلم الله خلافه منه. | أنا ( سينا عمر رضي الله عنه ) أُذكّرك أنت ( أبو موسى الأشعري) أنّ القاضي الّذي يتزيّن للنّاس بما يعلم الله خلافه منه، يهتك الله ستره ويُبدي فعله والسّلام . |

**ب _ الإشاريات الزمانية** : نجد أنّ عمر رضي الله عنه في رسالته القضائية إلى أبي موسى الأشعري استعمل ألفاظا تدلّ على زمن الفعل وتربط بين الزمن والفاعل، فالمرسل إليه يدرك لحظة التلفظ من خلال ألفاظ المرسل التي تدل على المستقبل، ومن بين هذه الألفاظ : "افهم ، آس بين الناس، اعرف الأمثال والأشباه، اجعل للمدّعي حقّا غائباً..."، وقوله : " ولا يمنعنّك قضاء قضيته ب**الأمس** راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فإنّ الحق قديم ومراجعة الحق خير

من التمادي في الباطل "، فكلّ هذه المتلفظات يُفهم من خلالها أنّ المرسل إليه سيعمل بها وقت حكمه بين متخاصمين أو ما شابه .

ج ـ **الإشاريات المكانية** : لم تحفل الرسالة بمراجع مكانية كثيرة ، فالمكان يفهمه المرسل إليه مباشرة وهو مكان الحكم " **المجلس** " حيث قال عمر رضي الله عنه : " آس بين النّاس **في مجلسك** و وجهك حتّى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك "، ومكان الفهم حين قال :" الفهم الفهم عندما يتلجلج في **صدرك** مما لم يبلغك في كتاب الله، ولا سُنّة النبي صلى الله عليه وسلم ".

د ـ **الإشاريات الاجتماعية** : استعمل عمر رضي الله عنه ألفاظا وعبارات كثيرة في رسالته القضائية التي تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين " عمر وأبي موسى الأشعري "، نذكر من بين هذه الألفاظ والعبارات ما يلي :

ـ من العبارات مطلع الرسالة : " **إنّ القضاء فريضة مُحكمة وسُنّة مُتّبعة** "، " **المسلمون عدول، آس بين النّاس في مجلسك ووجهك، الصلح جائز بين المسلمين، الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك** ... ".

ـ ومن الألفاظ " **المجلس، الحق، الباطل، الأمثال والأشباه، المُدّعي، مواطن الحق، البيّنة، اليمين،** ..."

فهذه العبارات والألفاظ عززت الثقة بين المتخاطبين وأسهمت في إنجاح التواصل والخطاب، وهي تُشير إلى أنّ العلاقة بين عمر رضي الله عنه وأبي موسى الأشعري علاقة رسمية .

### ٣ـد_ القصدية / أو المقاصد من ملفوظات الرّسالة :

قد علمنا أنّ الفعل لا يُسمّى فعلاً ما لم يصحبه قصد، والقصدُ هنا واضح من خلال رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري خاصة وإلى الولاة عامة وهو أنّ القضاء فريضة مُحكمة وسُنّة متّبعة ...ونجد هنا أنّ عمر لا يقوم بإثبات صحة موقفه وخطابه لأنّه لا يوجد مخالفون لرأيه، وأنّ

كل وال وصلت إليه هذه الرّسالة عليه العمل بها، فالهدف من هذه الرّسالة والرّسائل الديوانية الأخرى التي كان موضوعها القضاء هو العمل بالنصائح والأوامر والإرشادات التي تخدم الأمصار الإسلامية في القضاء العادل فلا نجد فيها مبالغة في التعبير عن العواطف والمشاعر مثلما نجد في الرسائل الإخوانية التي تدور بين الإخوان والأصدقاء .

**٣_هـ_ الحجاج في الرسالة:**

**_ العوامل والروابط الحجاجية الموجودة في الرّسالة:** صنّف الكثير من الباحثين العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية منهم عزّ الدين الناجح في كتابه ( العوامل الحجاجية في اللغة العربية )[١]، وقدّور عمران في كتابه (البُعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني)[٢]، وهناك البعض منها مشتركاً أي يندرج تحت الروابط وتحت العوامل منها:( حتّى وإذا ) .

✓ **العوامل الحجاجية** : فقد استعمل عمر رضي الله عنه عوامل حجاجية في رسالته القضائية إلى أبي موسى الأشعري، قمنا برصدها في الجدول الآتي:

| العامل الحجاجي | هدفه الأعلى[٣] | العامل في سياقه الداخلي | وظيفته داخل السياق |
|---|---|---|---|
| **أمّا بعد** | وصف الواقع أو الإحالة عليه | **أمّابعد:**فإنّ القَضاءَ فريضةٌ مُحكمة، وسُنّةٌ متّبعة | هو عُنصر لغوي يُقِّرللملفوظ قبله وبعده بُعداً حجاجياً، فوظيفته هي ربط الوحدات اللسانية الكبرى أو الوحدات الخطابية، |

[١] ينظر: عزّ الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللّغة العربية ، ط١ ، ٢٠١١، مكتبة علاء الّين ، دار النّهى ، صفاقس ، ص من ١٨ إلى ٢١.

[٢] ينظر: مرجع سابق ، قدّور عمران ، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ، ص ص من ٣٥ الى ٣٨.

[٣] ينظر: المرجع السابق ، عزّ الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص ص ١٩ /٢٠.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | وتكمن وظيفته هنا في تلخيص التقديم وإن طال ، والدخول في صُلب الموضوع. |
| **حتَّى** | وصف الواقع أو الإحالة عليه | آسٍ بين النّاس في مجلسك و وجهك **حتّى** لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا يخافَ ضعيفٌ من جورك. | وظيفته ربط الوحدات اللغوية الكبرى، و زيادة قُوّة الاحتجاج ، حيثُ استخدمها عمر رضي الله عنه للربط بين " المساواة بين الناس و عدم خوف الضعيف من العدل". |
| **لا** | التّعبير عن منطق فكر ما و ترابطه. | و**لا** يمنعنّكَ قَضاءٌ قَضَيتَه بالأمس رَاجَعتَ فيه نَفْسَكَ وَهُدِيتَ فيه لِرُشْدكَ أَن تَرجِعَ فيه أنْ تَرجعَ عنه فَإنَّ الحقَّ قديم. | وظيفته حصر و تقييد الإمكانات الحجاجية والتي هي في النموذج (القضاء الماضي ) و نفي أنّه يمنع من الرجوع. |
| **إذا** | التعبير عن حالة أو موقف. | فافهم **إذا** أُدْلِيَ إليكَ | وظيفة إذا كعاملٍ حجاجي، وفي هذا السّياق هي تحقيق الشّرط داخل أسلوب الأمر (فافهم) في المستقبل . |

✓ **الروابط الحجاجية** : وهي مورفيمات من صنف الروابط ( حروف العطف – الظروف) [1] و هي موجودة بكثرة في الرّسالة .

- **حروف العطف** :فقد أحصينا حروف العطف التي استخدمها عمر رضي الله عنه في المخطط الآتي :

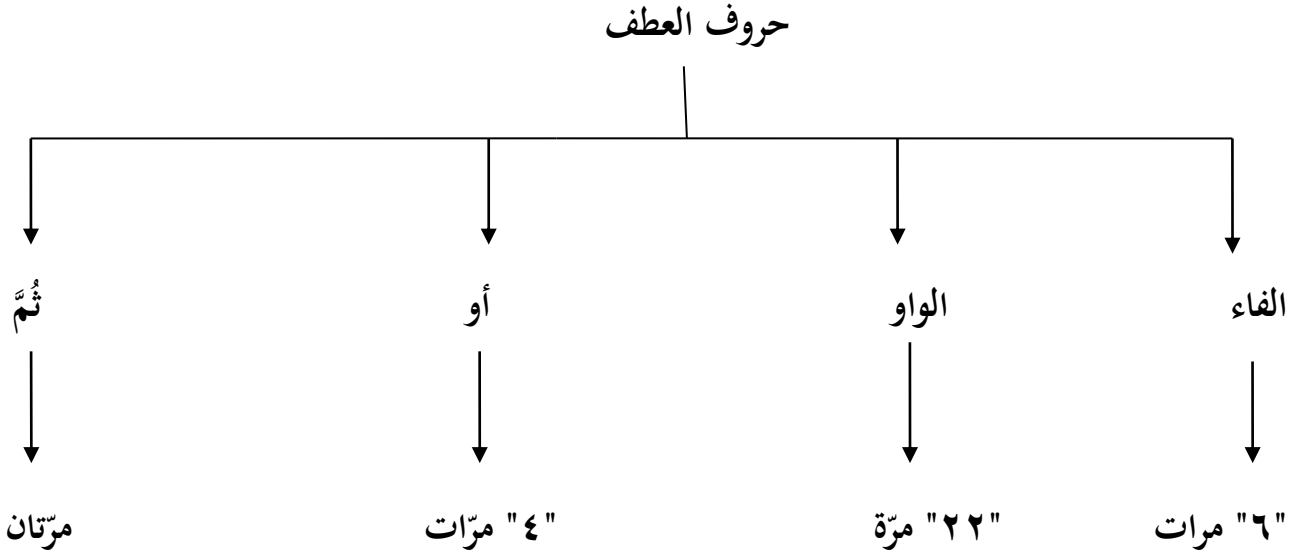


- نجد أنّ عمر رضي الله عنه قد استعمل حروف العطف التي ذكرناها " ٣٤ "مرّة ، وقد استعمل حرف "الواو" أكثر في كون أنّه غالباً ما كان يعطف ، نذكر قوله : " **القضاء فريضة مُحكمة و سُنّة متّبعة** "، أمّا "الفاء"في السبب و "ثُمَّ" في الترتيب و التراخي و "أو"في التخيير فلم يستعملها كثيراً في رسالته ، نذكر قوله:" **ثُمَّ إيّاك القلق و الضجر و التأذي بالنّاس و..**"، فبعد ثُمَّ أخَذَ يُرَتِّبُ مُستعيناً بحرف العطف " الواو".

- **الظُروف**: أمّا الظروف فقد كانت ظاهرة في رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري بنوعيها "الزمانية والمكانية" نذكر منها:

[1] يُنظر : مرجع سابق، قدّور عمران، البُعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، ص ٣٧

| ظروف الزّمان | ظروف المكان |
| --- | --- |
| **الأمس** في قوله: ⟵ "ولا يمنعك قضاءٌ قضيته بال**أمس** راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرُشدك..." | " الفهمَ الفهمَ عندما يتلجلجُ **في صدرك** مما لم يبلُغَكَ في كتاب الله، ولا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلّم" . |

فاستعماله للظروف كان مناسباً للظروف المحيطة بالمرسل إليه لتُقَرّب إليه فهمَ الأمور التّي جاءت في الرّسالة، فالظروف "بالأمس" و "في صدرك" لها قُوّة تأثيرية في نفسية المتلقي .

**_السُلّم الحجاجي في الرّسالة :**

**قوله : " ...فإنّ القضاء فريضة مُحكمة ، و سُنّة مُتّبعة ،فافهم إذا ما أدْليَ إليكَ ، فإنّه لا ينفعُ تكلّمٌ بحقّ لا نفاذ له"[1].**

استعمل عمر رضي الله عنه استراتجية الحجاج ، حيث احتوى مطلع الرسالة على جملة من الحجج لنتيجة هي : الفهم الصحيح للقضاء ، ويمكننا تقسيم هذه الحجج من خلال السلّم الحجاجي لمطلع هذه الرسالة كالآتي:

**ن = الفهم الصحيح للقضاء**

ح١ ⟵ القضاء فريضة مُحكمة

[1] المرجع السابق، محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب، ص ٧٨.

ح٢ ـــــــــــ و سُنّة متّبعة

ح٣ـــــــــــــ فافهم إذا ما أدلي إليك

ح٤ـــــــــــــــــــفإنّه لا ينفع تكلّم بحقّ لا نفاذ له

استخدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطابه هذا الموجّه لأبي موسى الأشعري آليات شبه منطقية جسّدها السلّم الحجاجي السابق ،مستعيناً بالرابط " الفاء" في الانتقال من التوكيد إلى الأمر ثمّ على التوكيد " إنّ القضاء... ، فافهم ....، إنّه لا ينفع..."وحرف" الواو"رابطاً بين الحجّتين القويتين لفهم القضاء في أنّه " فريضة مُحكمة و سنّة متّبعة".

- قوله : " **آس[1] بين النّاس في وجهك ومجلسك وعدلك ،حتّى لا يطمع شريفٌ في حيفك ولا ييأس ضعيفٌ في جورك**" [2].

**ن = التسوية بين النّاس**

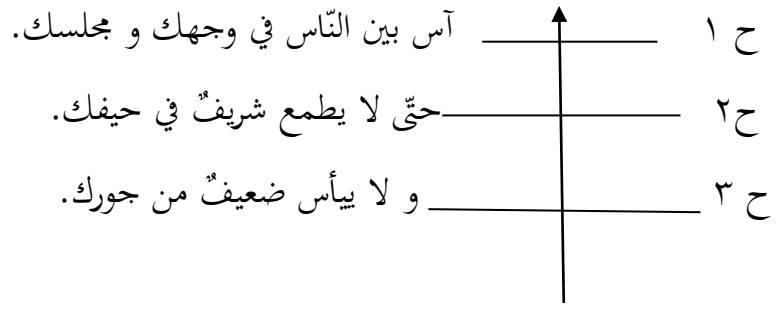


انتقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المقطع السابق إلى هذا المقطع مستعيناً بالأمر لكونه في مقام النصح والإرشاد ،ليستمر في ذكر حجج أخرى تؤكّدُ أهمية القضاء و طرق فهمه وتنفيذه ،

[1] آس بين الناس أي سوِّ بين النّاس .

[2] الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٧٨.

مستعيناً بجملة من الأدوات اللغوية كالروابط الحجاجية من خلال توظيفه للأفعال الكلامية ، و كذلك الاعتماد على الروابط التي تُدرجُ حججاً قوية " حتّى الغائية" في " ح ٢ و ح ٣ ".

- و قوله رضي الله عنه: **" البيّنة على من ادّعى و اليمين على من أنكر"**[١]

**ن = البيّنة على منِ ادّعى**

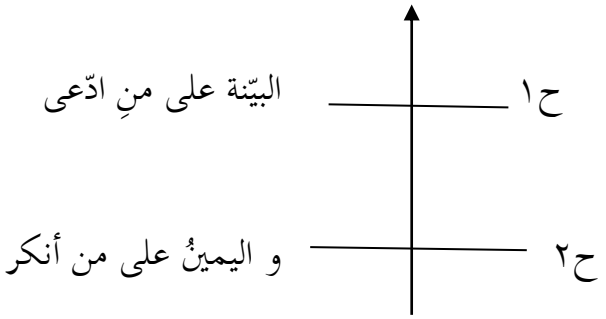


واصل عمر رضي الله عنه رسالته بذكر حجتين مفادهما أن يقضي القاضي بالحجّة التي تُرجِّحُ الحقّ إذا لم يعارضها مثلها ،و المطلوب من كلّ حاكم أن يعلم ما يقع ، ثمّ يحكم فيه بما يجب ، وقد استعان بحرف العطف " الواو" فالأوّلُ مدارُه الصدق و الثّاني مدارهُ العدل.

- قوله :" **والصلحُ جائزٌ بين المسلمين إلّا صلحاً حرّم حلالاً أو أحلَّ حراماً"**[٢]

[١] المرجع نفسه ، ص ٧٨.

[٢] المرجع نفسه ،ص٧٨.

**ن= الصلح بين المسلمين**

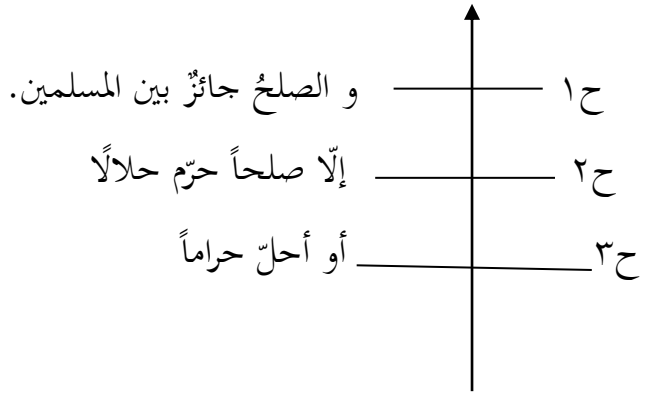


انتقل عمر رضي الله عنه من المقطع السابق في الرسالة إلى هذا المقطع مستعيناً بحرف العطف " الواو"ليسترسل في ذكر حجج أخرى معينة تبين قيمة الصلح في القضاء ، مستعيناً أيضاً برابط الاستثناء " إلّا" في استثناء الصلح الذي يحرّم الحلال أو يحلل الحرام ،و الرابط " أو"في ترتيب الحجتين " ح٢ و ح ٣".

- **قوله: " ولا يمنعنّك قضاءٌ قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك و هُدِيتَ فيه لرُشدك أن ترجع عنه فإنّ الحقّ قديم ، و مُراجعة الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل"[١]**

**ن = مراجعة الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل**

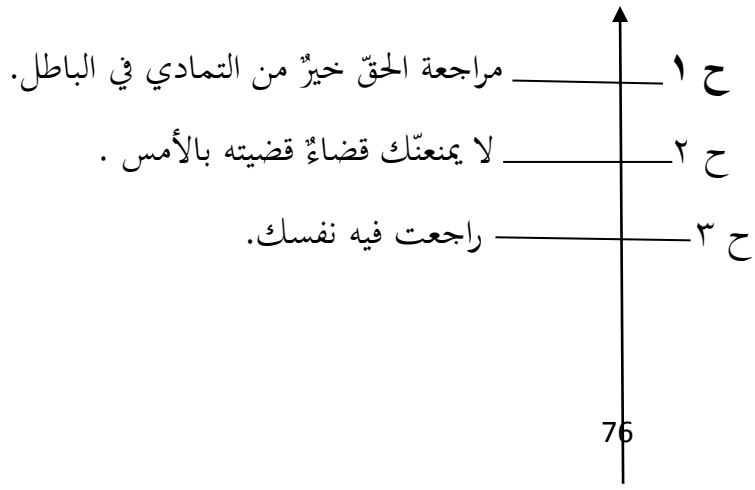


[١] الفاروق عمر بن الخطاب ،ص٧٩.

ح ٤ ــــــــــــــ و هُديتَ فيه إلى رُشدك.

ح٥ ــــــــــــــ أن تُراجع الحقّ فإنّ الحقّ قديم.

انتقل عمر بن الخطاب من المقطع السابق إلى هذا المقطع مستعينا بحرف العطف " الواو " أيضاً ليسترسل في ذكر حججٍ أخرى تبيّن صفات القاضي العادل في مراجعته للحق أثناء الحُكمِ ، مستعيناً أيضاً بنون التوكيد الثقيلة في " يمنعنّك" في أنّ القضاء الذي يُقضى بالأمس لا يمنعُ القاضي في مراجعة نفسه و الهداية إلى الرُشدِ أنْ يُراجع حقّه ، فمفاد الحكمة هنا لجميع القضاة هي " مُراجعة الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل".

- **قوله:" الفهمَ الفهمَ عندما يتلجلجُ في صدرك مما لم يبلُغك في كتاب الله ، ولا سُنّة النبي صلى الله عليه و سلّم، اعْرِفِ الأمثال و الأشباه و قس الأمور عند ذلك ثُمَّ اعمد إلى أحبِّها إلى الله وأشبهها بالحقّ فيما ترى"**[1].

**ن = معرفة الأمثال و الأشباه**

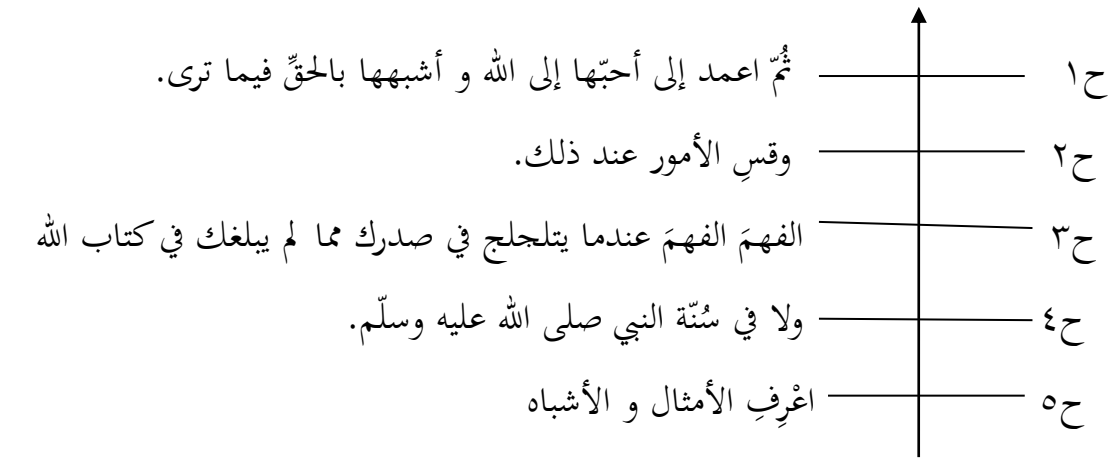


[1] المرجع نفسه ، ص ٧٩

يُواصِلُ عمر رضي الله عنه نُصْحَهُ و إرشادَهُ لأبي موسى الأشعري في فهم القضايا أثناء الحُكمِ ، مُسْتعيناً بالتوكيد اللفظي " الفهْمَ الفَهْمَ" مما لم يبلغَهُ في كتاب الله ولا في سُنّة النبي صلى الله عليه وسلّم ، و الأسلوب الإنشائي بصيغة الأمر " اعرف، قس، اعمد " لمعرفة الأمثال والأشْباه وقياس الأمور ، مستعيناً بحرف الربط " ثمّ " الذي يفيد الترتيب و التراخي في الاعتماد إلى أحبِّها إلى الله و أشبهها بالحقّ .

- **قوله: " واجعل للمدّعي حقّاً غائباً، أو بيّنة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذتَ لهُ بحقِّهِ،وإلّا وجّهتَ عليه القضاء ، فإنّ ذلك أنفى للشك ، و أجْلى للعمى ، وأبلغ في العذر "**[1].

**ن = مراعاة حقّ الغائب**

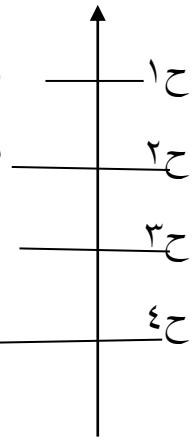


يُواصلُ عمر رضي الله عنه إرشاده لأبي موسى الأشعري خاصةً و للقضاة بعدهُ عامةً مستعيناً بحرف العطف " الواو" ليُبين في هذا المقطع من الرسالة مراعاة الحقّ الغائب للمدّعي ، و أضاف حججاً أخرى مُستعيناً بحرف الربط "الفاء" و أداة الشرط "إنْ" ، و أداة الاستثناء"إلّا"، تنبيهاً للقاضي أثناء فترة الحكم بأن لا يأخذ بحقّ المدّعي ، خاصةً إذا أحضرَ بينته أمام القاضي ، فإن لم يحضرها وجّه عليه القضاء.

[1] الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٧٩

- **قوله: " المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلّا مجلوداً في حد أو مُجرّباً عليه شهادة زور أو ضنيناً في ولاء أو قرابة ، فإنّ الله قد تولّى منكم السرائر و درأ عنكم بالشبهات"**[1].
-

**ن = المسلمون عدول**

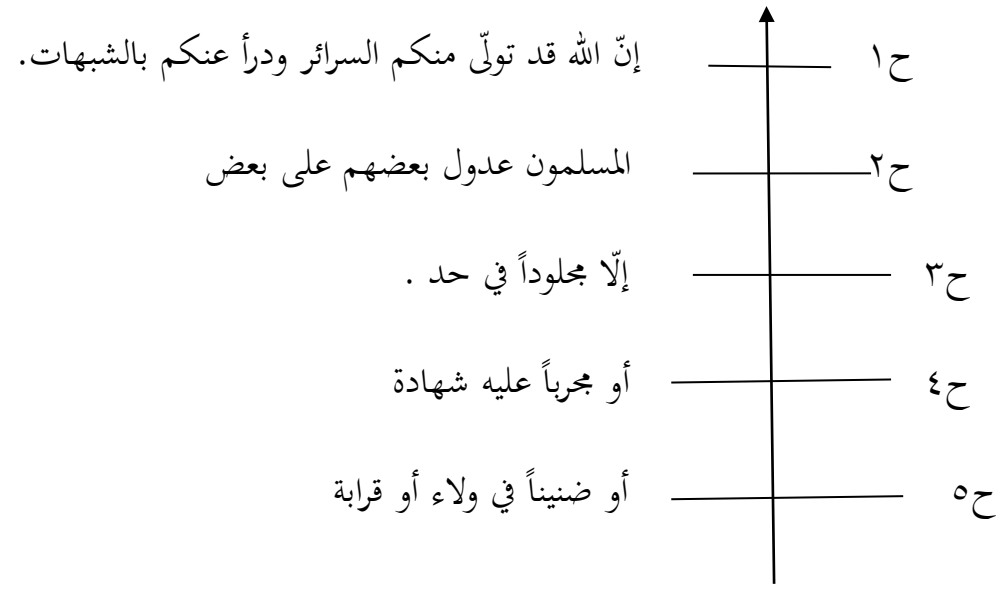


يواصل عمر رضي الله عنه رسالته بذكر وصاياه ونصائحه لأبي موسى الأشعري بأن يعدل بين المسلمين أثناء حكمه مستثنياً البعض منهم بذكر صفاتهم مستعيناً بالحرف " إلّا" في ذكره لأصناف المحكوم عليهم " المجلود، المجرّب عليه شهادة زور، ضنيناً في ولاء أو قرابة" ، مستعيناً أيضاً بحرف الربط " "أو"،ومؤكّدا أنّ الحاكم وجب عليه أن يكون عالماً بالقضايا التي يحكم فيها ، ولا يحكم في قضية لم يدرس عليها كل خفاياها و أسرارها، فإن ستر القاضي شيئاً ما إذا علم به أو التغاضي عنه إن كان عالماً به لا يكسبه أمانة و حلال مهنته _ في كونها من أصعب المهن_ فالله سبحانه وتعالى عالمٌ بخفايا الصدور صغيرها أو كبيرها.و الحاكم الحقّ هو من يعمل بما جاء في كتاب الله ، وما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلّم.

[1] الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٧٩

- **قوله : " ثمّ إيّاك القلق والضجر و التأذي بالنّاس و التنكّر للخصوم في مواطن الحقّ التي يوجبُ الله بها الأجر ، و يحسنُ بها الذخر"[1]**

**ن= تجنّب القلق في مواطن الحقّ**

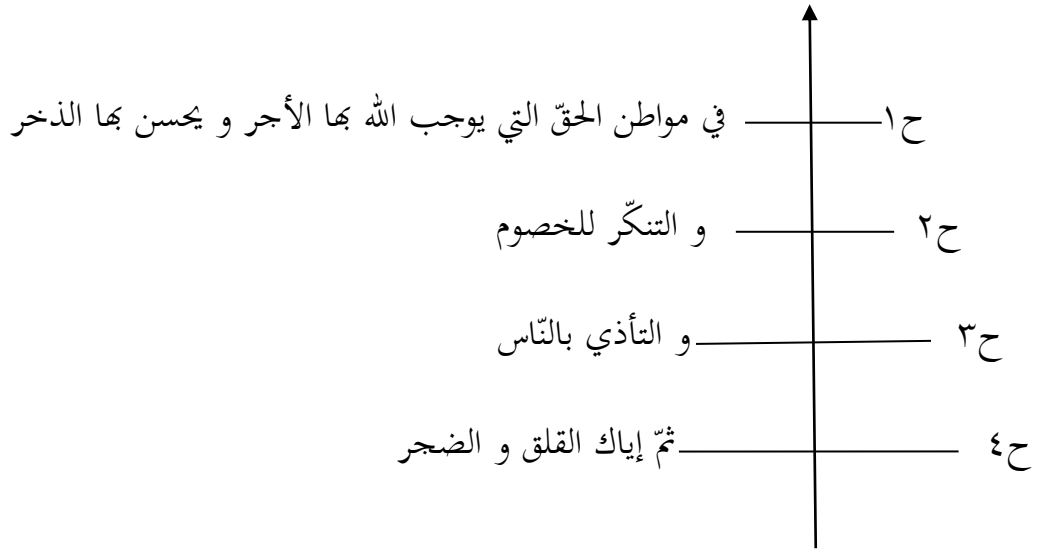


يواصل عمر رضي الله عنه رسالته القضائية بتحذير أبي موسى الأشعري خاصة و جميع الولاة عامةً من القلق و الضجر أثناء حكمهم على القضايا ، مستعيناً بحرف الربط " ثمَّ" الذي يفيد الترتيب و التراخي، و أخذ يدرجُ حججاً أقوى بتحذيراته التي وجب للقاضي تجنبّها أثناء الحكم ، مستعيناً بحرف الربط " و" ، حيث حذّره بأن لايؤذي النّاس ، ولا يتنكّر للخصوم في مواطن الحقّ ، مستخدماً الاسم الموصول" التي " في وصف مواطن الحقّ وهي التي يوجب الله بها الأجر و يحسن بها الذخر ، فمن حسن صفات المسلمِ أياً كان هو امتلاك النفس أثناء الغضب ، وبما أن القاضي معرض لهذه المواقف أكثر من غيره فإننا نجد عمر رضي الله عنه يؤكّد توجيهاته له باستعمال أسلوب التحذير "إياك".

[1] الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٧٩.

**قوله رضي الله عنه: " فإنّه من يُخْلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين النّاس ، ومن تزيّن للنّاس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله ستره ، و أبدى فعله والسلام"**[1]

يختم ا عمر رسالته القضائية بنُصحٍ و إرشادِ القضاة والحكّام و النّاس عامةً بأن يتمتّعوا برأس التقوى والإحسان وهو "إخلاص النية لله تعالى"، مستعملاً إستراتجية الحجاج حيثُ احتوى هذا المقطع على جملةٍ من الحجج لنتيجة هي " إخلاصُ النية" ، و يمكن تقسيم الحجج الواردة من خلال السُلَّم الحجاجي لهذا المقطع كالآتي:

**ن= إخلاص النية لله تعالى**

نجدُ أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يختتم رسالته بأقوى الحجج التي تجعل من أي حاكم، بل ومن أي قارئ لهذه الرسالة يعمل بها ،مستعيناً بأداة الشرط " من" في ذكر جزاء المخلص لله تعالى و ذكر نقيضه، فالعبدُ إذا أخلص نيته لله تعالى ، وكان قصدُهُ و همّهُ و علمهُ لوجههِ _ سبحانهُ و تعالى _ كان الله معه ،

[1] المرجع نفسه ، ص ٧٩.

فإنّهُ _سبحانه _ مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون ، قال تعالى في كتابه الكريم : " إِنَّ اللهَ مَعَ الّذِينَ اتَّقَوْا والَّذينَ هُمْ مُحْسِنون" سورة النحل الآية" ١٢٨" ، و رأسُ التقوى والإحسان خُلوصُ النية لله تعالى في إقامة الحق و الله _ سُبحانهُ_ لا غالبَ لهُ ، فمنْ كان معهُ الله فَمَنْ ذا الّذي يغلبهُ أو ينالهُ بسوءٍ ، وإنْ لم يكن معهُ ، فمنْ يرجو؟، و منْ يتّقِ؟، و منْ ينصُرَهُ من بعدِ الله؟. فإذا قام العبدُ بالحقّ على غيره و على نفسه أولاً وكان قيامهُ بالله ولله ، لم يقع له شيء ، و لو كادته السموات والأرض و الجبال ، لجعل الله له فرجاً و مخْرجاً . قال الله تعالى: " و مَنْ يتَّقِ اللهَ يجْعَلْ لهُ مَخْرَجاً" سورة الطلاق الآية "٢" .

وقدْ ختم عمر رضي الله عنه هذه الرسالة _التي بيّنَ فيها كيفية القضاء وأسلوبه و آدابه و جميع مبادئه _ بتعظيمِ جزاء المخْلص فإنّ الله _جلّ في علاه_ يجزي العبدَ على ما عمل من خيرٍ في الدنيا ، ثُمَّ يُوفِّيهِ أجرهُ في القيامة . قال الله تعالى: " وَقِيلَ لِلَّذينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قَالُواْ خَيْرًا لِّلذِيْنَ أَحْسَنُوْا فِي هذِهِ الدّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المتَّقِّين"سورة النحل الآية "٣٠".

**٤_ تحليل رسالة عمر رضي الله عنه إلى شُريح بن الحارث الكندي:**

**_ نص الرّسالة :**

كتب عُمر كتاباً إلى شُريح جاء فيه : **" إذا جَاءكَ شيءٌ في كتَاب الله فاقْضِ بهِ و لا يَلْفتنّكَ عنهُ الرّجال ، فَإنْ جَاءَكَ أَمْرٌ ليسَ في كِتَابِ الله فَانظُر سُنّة رسُل الله صلى الله عليه و سلّم فاقْضِ بها ، فَإنْ جاءَكَ أَمْرٌ ليْسَ في كِتَابِ الله ، وَ لَمْ يَكُن في سُنّةٍ منْ رَسُول الله فانْظُرْ ما اجْتَمَعَ عَليْهِ النَّاس فَخُذْ بِهِ ، فَإنْ جاءكَ مَا ليْسَ في كتَاب الله ، وَ لَمْ يَكُنْ في سُنَّةٍ مِنْ رَسُول الله ، وَ لَمْ يَتَكَلَم فيهِ أَحَدٌ قَبْلَك ، فَاخْتَر أَيَّ الأمرين شِئتَ ، إنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدْ رَأيك وَتُقَدِمْ فَتقدم ، وَإنْ شِئتَ أَنْ تُؤخّر فَتَأخّر و لا أَرَى التَأْخيرَ إلّا خَيْراً لكَ "**[١].

[١] مرجع سابق ، محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين ،ص ٧٨

**٤_أ_ تجسيد العملية التواصلية :**

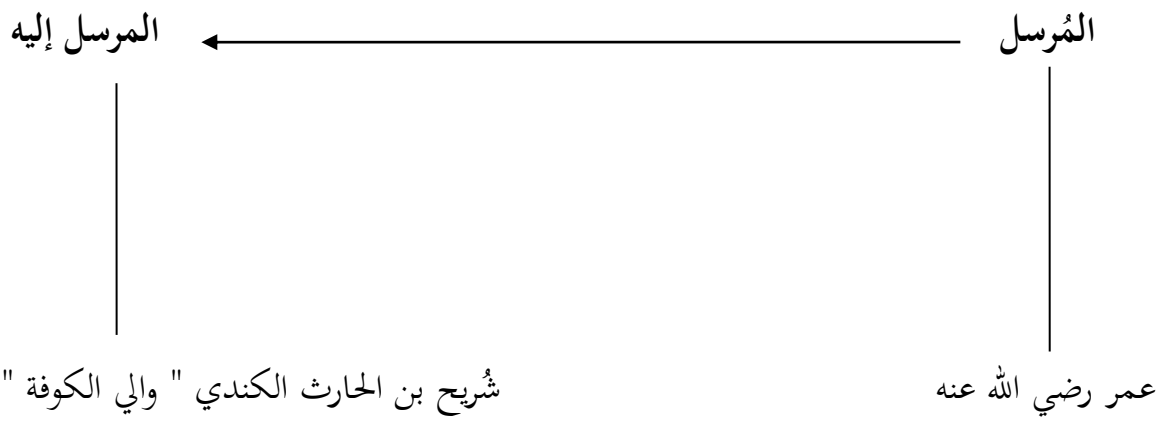


و فيما يلي التحليل التداولي للرّسالة :

**٤_أ_ الأفعال الكلامية في الرّسالة :**

| العبارة | الفعل المباشر | شرح لمكوّنات الفعل المباشر |
|---|---|---|
| **إذا جاءكَ شيءٌ في كتاب الله فاقض به و لا يَلْفتنّكَ عنه الرجال** | تقرير من خلال الشرط ( **التأكيدات** ) | أمرٌ بالاستناد إلى كتاب الله أثناء الحُكم ، وإن خالف رأي الرجال فلا طاعة لمخلوق في معصية |

| | | |
|---|---|---|
| | **الأمريات(فاقض)** | الخالق . |
| **فَإن جَاءَكَ أمْرٌ ليسَ في كتابِ الله ، فانْظُر سُنّة رسُل الله صلى الله عليه و سلّم فاقض بها** | تقرير من خلال الشرط<br>**( التأكيدات)**<br>**الأمريات (فانظر،فاقض)** | تنبيه عمر رضي الله عنه القاضي شُريح بأن ينظر مباشرة في سنة رسول الله إذا كان الأمر ليس في كتاب الله و يقضي بها. |
| **فَإنْ جاءَ أمرٌ ليس في كتاب الله ، و لم يكُن في سُنّة من رسول الله صلى الله عليه وسلّم فانظُر ما اجتمع عليه النّاس فَخُذْ بِه** | تقرير من خلال الشرط<br>**( التأكيدات )**<br>**الأمريات(فانظر،فخذ)** | و الشرط الثالث هو النظر إلى ما اجتمع عليه الناس إذا لم يجد حكمه في كتاب الله و لا في سنة الرسول صلى الله عليه و سلم. |
| **فَإنْ جاءَ ما ليس في كتاب الله و لم يكن في سُنّةٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم و لم يتكلّم فيه أحد قبلك فاخْتَر أيَّ الأمرين شئتَ إنْ شئتَ أنْ تَجْتَهدْ رأيكَ و تقدم فتقدم و إن شئتَ أنْ تُؤخّر فتأخر . ولا أرى التأخير إلّا خيراً لك** | تقرير من خلال الشرط<br>**( التأكيدات )**<br>**الأمريات (فاختر،فتقدم،فتأخّر)** | و ختم عمر رسالته مُسهّلاً الحكم على القُضاة عامة و شُريح خاصة ، فإن جاءهم ما ليس في كتاب الله و لا في سُنة النبي صلى الله عليه و سلم و لم يتكلم فيه أحد ، فلابد لهم أن يجتهدوا، مُركّزا على أنّ الخيرة في التأخير . |

**٤_ب_ الملفوظية / نظرية التلفّظ : تبقى رسائل عمر رضي الله عنه تمتاز بالخصائص الأساسية للملفوظية .**

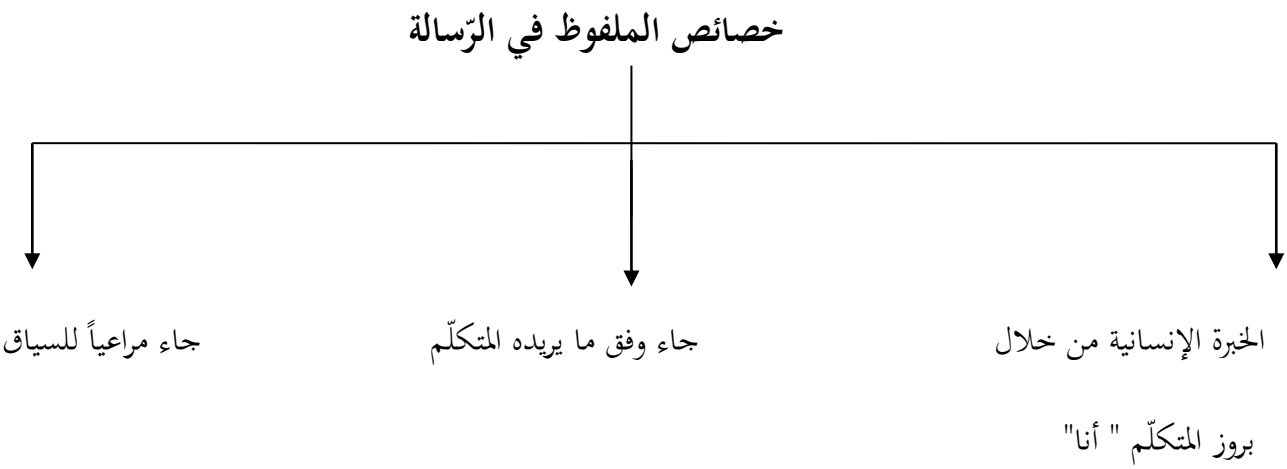


**٤_ج_ الإشاريات في الرّسالة** : سنقوم باستخراجها من رسالة سيدنا عمر رضي الله عنه إلى شُريح بن الحارث الكندي مثلما فعلنا في رسالته إلى أبي موسى الأشعري .و سنقف على ذكر بعض الإشاريات الشخصية فقط ، فقد لاحظنا أنّها موجودة في جميع رسائل عمر إلى القاضي المرسل إليه شخصياً و إلى القضاة عامة .

**_ الإشاريات الشخصية** : ورد في هذه الرّسالة ضمائر " المتكلم و المخاطب و الغائب" سنختصرها في الجدول الآتي :

| الملفوظ | الإشاريات الشخصية | البُعد الإشاري للملفوظ |
|---|---|---|

| | | |
|---|---|---|
| **إذا جاءكَ شيءٌ في كتاب الله فاقض به ولا يلفتنّك عنه الرجال** | أنا ⟵ سيدنا عمر رضي الله عنه .<br>أنت ⟵ شُريح بن الحارث الكندي .<br>هو ⟵ الحُكم الذي أتى في كتاب الله عزّ و جل | أنا ( عمر رضي الله عنه ) أقول لك (شريح بن الحارث )<br>بأنّه إذا جاءك ( الحكم ) في كتاب الله فاقض به مباشرة . |
| **فإن جاءك أمرٌ ليس في كتاب الله ، فانظر سُنّة رسول الله صلى الله عليه و سلّم فاقض بها .** | أنا ⟵ سيدنا عمر رضي الله عنه .<br>أنت ⟵ شُريح بن الحارث الكندي | أنا ( عمر رضي الله عنه ) أقول لك (شريح بن الحارث )<br>بأنّه إذا جاءك ( الحكم ) في كتاب الله فاقض به مباشرة . و إن لم تجد الحكم في كتاب الله ، فانظر سُنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فاقض بها. |
| **فإن جاءك أمرٌ ليس في كتاب الله ، و لم يكن في سُنّة من رسول الله صلى الله عليه و سلّم و لم يتكلّم فيه أحدٌ قبلك ، فاختر أيّ الأمرين شئت** | أنا ⟵ عمر رضي الله عنه.<br>أنت ⟵ شُريح بن الحارث .<br>هما ⟵ الحكمان اللذان سيختار منهما الحاكم أثناء حكمه | أنا ( سيدنا عمر رضي الله عنه ) آمرك أنت ( شريح بن الحارث)<br>أن تختار أيّ الحكمين شئت إن لم تجد ما تستند عليه في كتاب الله و لا في سنة الرسول صلى الله عليه و سلم |

| | | |
|---|---|---|
| **إنْ شئتَ أنْ تَجْتَهدْ رأيكَ و تقدم فتقدم و إن شئتَ أنْ تُؤخّر فتأخر . ولا أرى التأخير إلّا خيراً لك** | أنا ⟵ سيدنا عمر رضي الله عنه .<br>أنت ⟵ شُريح بن الحارث الكندي | أنا ( سيدنا عمر رضي الله عنه ) آمرك أنت ( شريح بن الحارث) بأن تجتهد ، و تأخّر حُكمك فأنا أرى التأخير خيراً لك |

**٤_د_ المقصدية** : مقاصد هذه الرسالة هي نفسها مقاصد رسالته إلى أبي موسى الأشعري و باقي القضاة و الوُلّاة و هي حرص عمر ابن الخطاب على ترسيخ مرجعيات إسلامية للأحكام القضائية و ذلك بتوجيه القاضي إلى القرآن الكريم أوّلاً ثُمّ إلى سُنة رسول الله عليه الصلاة و السّلام ، فإن لم يجد ضالته فيهما ، فعليه اتّباع من سبقه من الصالحين الذين حكموا في قضايا مُشابهة ، و إن لم يجد في المصادر الثلاثة ما يُعينه على الحُكم فهو الذي سيحكم بما يراه مُناسباً.

**٤_ هـ_الحجاج في الرّسالة:**

**– العوامل و الروابط الحجاجية الموجودة في الرّسالة** : سنقوم باستخراجها كما فعلنا في الرّسالة السابقة.

**_ العوامل الحجاجية** : و سنكتفي بذكر اثنين فقط :

| العامل الحجاجي | هدفه الأعلى | العامل في سياقه الداخلي | وظيفته داخل السياق |
|---|---|---|---|
| | | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| **إذا** | التعبير عن حالة أو موقف | إذا جاءكَ شيءٌ في كتاب الله فاقض به. | و قد جاءت وظيفته داخل هذا السّياق هي تحقيق الشرط . |
| **لا** | التعبير عن منطق فكر ما و ترابطه | لا يلفتنّك عنه الرجال | نفي يتضمن نهي الرّجوع عن حكم موجود في كتاب الله تعالى |

**_ الروابط الحجاجية في هذه الرّسالة** : و سنقتصر على ذكر حروف العطف و حصرها في المخطط الآتي :

**حروف العطف**

**الفاء "٥ مرات "** **الواو "٥ مرات "**

**من أمثلة ذلك :**

- **فإن** جاءك أمرٌ ليس في كتاب الله **فانظر** سُنّة رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، فإن جاءك فانظر ←لترتيب الأحكام ، _حكماً تلوى الآخر _ داخل الرّسالة .
- **و** لم يكن في سُنّة رسول الله صلى الله عليه و سلّم ← تكرار " الوا " للربط بين الأحكام .

**_ السُلّم الحجاجي في الرّسالة :**

**قوله : " إذا جاءك شيءٌ في كتاب الله فاقض به و لا يلفتنّك عنه الرّجال "**

استعمل عمر رضي الله عنه في رسالته إلى شُريح الكندي استراتجية الحجاج حيثُ احتوى مطلع الرّسالة على جملة من الحجج لنتيجة هي " العمل بما جاء في كتاب الله عزّ و جلّ"،و يمكننا ترتيب الحجتين الواردتين في مطلع الرّسالة من خلال السلّم الحجاجي كالآتي :

**ن = العمل بما جاء في كتاب الله**

ح ١ إذا جاءك شيءٌ في كتاب الله فاقض به

ح ٢ ——————— ولا يلفتنّك عنه الرجال

استخدم عمر رضي الله عنه آليات شبه منطقية جسّدها السلّم الحجاجي السّابق ، مستعينا بالرابط " الفاء " في الانتقال من الشرط إلى الأمر .

**قوله : " فإن جاءك أمرٌ ليس في كتاب الله فانظر سُنّة رسول الله صلى الله عليه و سلّم "**

**ن = النظر في سُنّة رسول الله صلى الله عليه و سلّم**

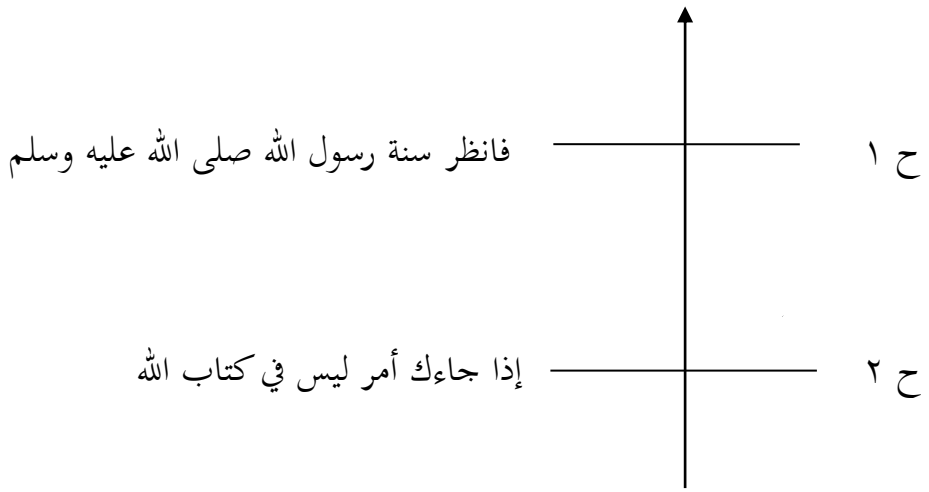


انتقل عمر رضي الله عنه من مقطع الاستهلال إلى هذا المقطع مُستعينا بحرف الربط الفاء المرتبط بأداة الشرط "إن" و جوابه المرتبط بالفاء أيضاً.

قوله : " **فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ، ولم يكن في سُنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به** "

**ن = الأخذ بما اجتمع عليه الناس**

ح ١ ـــــــــــــــــــ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به

ح ٢ ـــــــــــــــــــ و لم يكن في سنة النبي

ح ٣ ـــــــــــــــــــ إن جاءك أمر ليس في كتاب الله

واصل عمر رضي الله عنه رسالته بالانتقال من المقطع السابق إلى هذا المقطع مستعينا بحرف الربط "الفاء "الذي يعتبر من الروابط اللغوية و الحجاجية المهمة.

قوله :" **فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ، و لم يكن في سُنّة النبي صلى الله عليه و سلّم ، و لم يتكلّم فيه أحد قبلك ، فاختر أيّ الأمرين شئت** ".

**ن = اختيار أحد الأمرين**

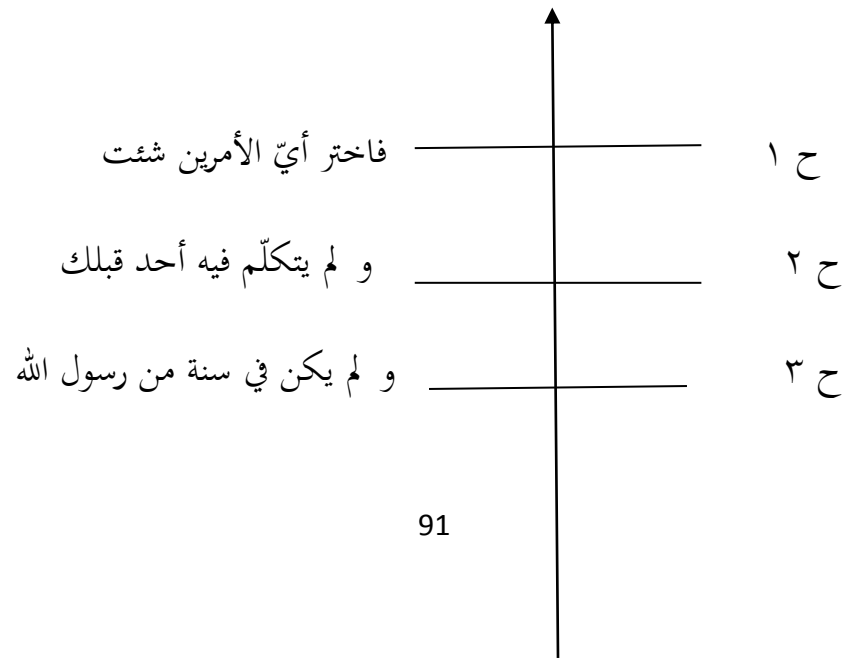

ح ٤ _____ فإن ما ليس في كتاب الله

نجد هنا أنّ عمر رضي الله عنه انتقل من المقطع السابق إلى هذا مستعينا بحرف الربط " الفاء"

و حرف " الواو " في ترتيب الحجج منطقياً.

قوله في ختام الرسالة : " **إن شئتَ أنْ تجتهدْ رَأيك و تُقدّم فتقدّم ، وإن شئتَ أن تُؤخّر فتأخّر وَ لاَ أرى التّأْخيرَ إلّا خيراً لك** ".

**ن = الخيرة في التأخير**

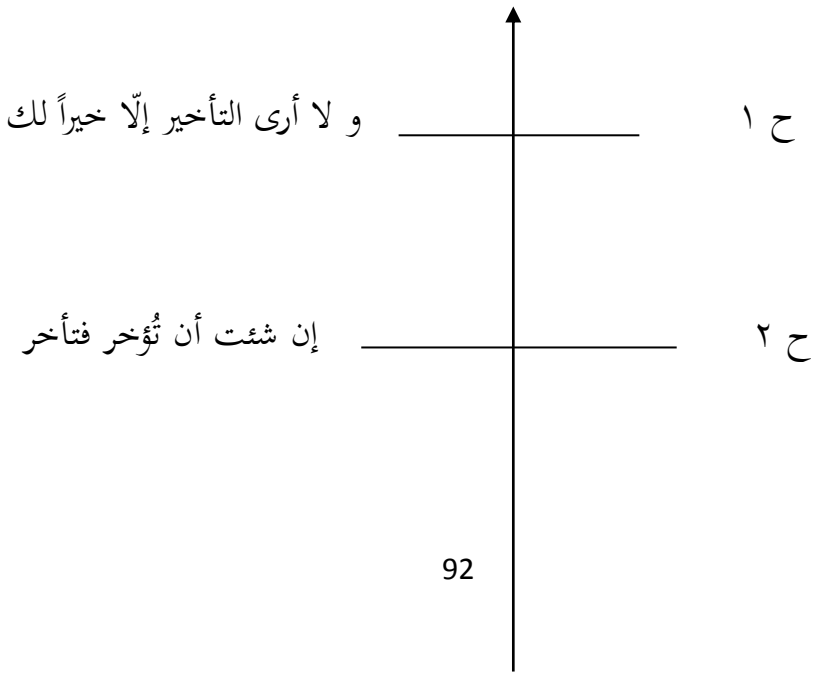

ح ٣ _____ إن شئت أن تجتهد رأيك و تقدم فتقدم

و ختم عمر رضي الله عنه رسالته بثلاث حجج مستعينا بأداة الشرط " إن " و حرف الربط " الفاء " ،خاتما بوجهة نظر منطقية وهي وجوب التأخير في الحكم أثناء الاجتهاد .

**فهذه الروابط أدت إلى وضوح**

**٥_مقارنة بين الرّسالتين في استثمار إجراءات التحليل التداولي :**

بعد تحليلنا للرّسالتين الديوانيتين المرسلتين من عمر بن الخطاب إلى القاضيين " أبي موسى الأشعري و شُريح ابن الحارث الكندي" استنتجنا ما يلي:

**أوّلاً : من ناحية الشكل و اللفظ و المعنى :**

**١ _ أوجه التشابه :**

_ لم تحتو الرسالتان على مطلع الترسّل كما في المعتاد ، حيث نجده مباشرة في صُلب موضوع الرّسالة " المتن" .

_ كلتا الرسالتين غلب عليها أسلوب الإنشاء الطلبي .

_ لم تخل الرّسالتان من معاني القرآن الكريم و الأخبار النبوية.

_ كلتا الرسالتين في موضوع القضاء .

**٢ ـ أوجه الاختلاف :**

ـ يختلفان من ناحية القصر و الطول ، فرسالته إلى أبي موس الأشعري هي الرّسالة الوحيدة التي اتسمت بالطول قياساً على الرسائل القضائية الأخرى التي كانت موجزة . و هي بكل ما حملته من تشريعات قضائية تُعدّ مرسوما قضائيا يحتاجُ إليه القضاة جميعا ، و الولاة الذين كان القضاء جزءا من مهامهم .

ـ رسالته إلى أبي موسى الأشعري تحملُ عدّة أوامر و إرشادات تُسهّل القضاء و الحكم و تحمل عدة صيغ ، بينما الثانية جاءت مُقتصرة على صيغتي الأمر و الشرط.

**ثانياً : من ناحية استثمارهما لإجراءات التحليل التداولي :**

ـ يعتبر المنهج التداولي الحديث وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات بشكل يمنحه ثراء على مستوى الإجراء والنتيجة، ولاسيما على مستوى النصوص التراثية. كالرسائل التي قمنا بتحليلها لما فيها من مستويات سياقية مقامية، وتشخيصية، وتوفرها على مساحة شاسعة من الطبقات الكلامية "مستويات الأفعال الكلامية" على اعتبار أن هذه الأخيرة مبحث مهم من المباحث التداولية،

و من خلال تحليلنا وجدنا :

ـأنّ الأفعال الكلامية في رسالته إلى أبي موسى الأشعري أكثر منها في رسالته إلى شُريح .

ـتحمل الملفوظات و الإشاريات الشخصية و الزمانية و المكانية و الاجتماعية التي قمنا باستخراجها من الرّسالتين المقصد نفسه و الغرض نفسه و تراعيان الطبقة الاجتماعية للمرسل إليه و السياقات الخارجية له.

ـو قد حملت أقوى الحجج للتأثير في مُتلقّي الرسالة بالخصوص و القُضاة بعدهم على العموم ، و هو ما أضفى على الرسالتين لمسةً حجاجية اتّخذها عمر رضي الله عنه للإيضاح و إقناع المتلقي.

كانت هذه أبرز آليات التحليل التداولي للنصوص التي لا تكاد تخلو منها مختلف الدراسات التي تقوم على المقاربة التداولية.

لمتابعة الكاتبة على الفيسبوك

https://www.facebook.com/khdyjt.tybt.2025

https://www.facebook.com/share/1DjjDYu1EC/

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

@جميع حقوق النشر محفوظة ل

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١١٢٣٥٧٤٧٣